كُرَةُ القَدَم

لغير الناطقين بها

راشد بن زومه
صالح الخليف

مدارك

تمت رقمنة هذا الكتاب ضمن برنامج النشر الرقمي

هيئة الأدب والنشر والترجمة
Literature, Publishing & Translation Commission

كرة القدم لغير الناطقين بها

د. راشد بن زومه

صالح الخليف

الإهداء

إلى كل من يعتقدأن كره القدم هي

مجرد كرة قدم

مع صافرة البداية

كتاب عن كرة القدم..!!

هذا هو الشيء الخطأ...!

فماذا عساك أن تحكي للحكاية نفسها وهل لديك أقوال في حضرة الكلام المباح والقول الفصل.. الكلام والكتابة عن كرة القدم قضية خاسرة فلن تأتي بجديد ولن تصل للمفيد... تفسير الماء بعد الجهد بالماء... كيف يمكنك إقناع الناس بإمكانية وأهمية الحديث معهم وإليهم عن أدق تفاصيلهم وأهم خصوصياتهم..

كتاب عن كرة القدم..إنه فصل هزلي عندما نؤمن أنها لعبة يتعطل في حضرتها الكلام وليس لديها لغة مفهومة يمكن ترجمتها للآخرين، لأن هؤلاء الآخرين إنما هم جزء من اللعبة ذاتها.. وهكذا سلسلة لاتنقطع من تهاويل الغرق في أبحر ومحيطات وأنهار متشابكة ومتداخلة دون الاهتمام أو التوقف عند بحر ضارب في ملوحته ونهر يفيض صفاوة وعذوبة..

إن كرة القدم صعبة الوصف عصية على الدلالة والاستدلال فوصفها ربما يوازي المغامرة بإيصال حقيقة طعم الفواكه الاستوائية لأولئك المحرومين منها في قرية تقبع وسط أدغال أفريقيا.. إن طعم الفاكهة هذا لن يعرفه إلا من يتذوقه، فالخيال سيتعطل تماماً كون الرابط بين الحواس الخمس خارج الخدمة في حالة كهذه.. وكرة القدم والكتابة عنها ليست سوى مغامرة ومخاطرة ولعبة بهلوانية صارت من الماضي التعيس..

مشكلتها تكمن في طبيعتها المتغلغلة وسط الشعوب والناس.. طبيعة وإن وضعتها في قمة مستوفاة الشروط والواجبات إلا أنها في السياق ذاته تركت دون محاولة دراسة وتحليل الظاهرة الأعجوبة بالانتشار الطاغي على كامل جغرافيا الأرض، الأمر الذي يجعل وبصورة تلقائية الحديث عنها محاطاً بالفشل والارتباك وعدم الاتزان وعدم الحياد..

عندما تختار طفلاً يافعاً لتحدثه عن تاريخ كرة القدم فالأغلب أن حديثك هذا لن يغير في نفسه واندفاعه شيئاً عنها لا سلباً ولا إيجاباً، فالعلاقة التي تربط ذلك الصغير مع اختياره والتحاقه بالتيار الإنساني الجارف حسمت الجدل تماماً وبقي مايقال عنها إنما هي هوامش على دفتر الأسماع المليء بأحاديث أخفقت في حجز مكانٍ يستحق من خلاله امتلاك ضوء ولو كان خافتاً..

كتاب عن كرة القدم.. ماذا سيدور فيه وماذا سيكتب داخله وعن أي شيء تحتوي مادته الرئيسية.. إنها الأسئلة الطبيعية الاعتيادية أما إجاباتها فهي أقل قدرة على ملامسة

الحقيقة والواقع، فالفارق واسع والمساحة شاسعة بكبر ما تملكه كرة القدم نفسها من أنفس هوتها وأحبتها وعاشت في أجوائها وإثارتها وقدرتها على التأثير في علاقة الناس أنفسهم بعضهم مع بعض..

إنه كتاب محاط بالخوف... ومحاط بالحذر... ومحاط بالارتباك...

خوف من أن يكون وجبة دسمة وضعت أمام مدعوين لحفلة عشاء وصلوا إليها وقد أصيبوا بالشبع أو النفس المسدودة...

حذر من الخوض في قضية شائكة ومعقدة أو سهلة وبسيطة.. وهنا تتوقف البوصلة عن العمل ويتعطل صوت الإرشاد في منتصف طريق موحش مرتبك.. البداية والنهاية تتشابهان وهذه هي المشكلة...!

كتاب يحاول جاهداً الدفاع عن متهم ثبتت إدانته... ويسعى يائساً الهجوم على بريء أطلق سراحه... كتاب لايعرف أين يتجه.. يريد معانقة عشاق كرة القدم جميعاً ليقول لهم بهدوء.. كان معكم كل الحق...!!

يريد مجابهة كارهي ورافضي كرة القدم ويشرب معهم فنجان قهوة ويروي لهم قصته بدون توتر.. ليس مخصصاً لمن يهوى ويحب ويتابع ويطالع كرة القدم فحسب...

قد يكون أقرب للاتجاه المعاكس تماماً... لمن يراها خطراً على الناس وخطراً على المجتمع لعله في لحظة فاصلة يضع الأمور في نصابها...

أو على أقل تقدير إذا كان رافضاً حتى لفكرة هذه اللحظة الفاصلة أن يجلس معها ويتعرف عليها ويعقد معها علاقة عابرة... وصداقة مؤقتة من بوابة تبادل مصالح فتعرف هي لماذا يكرهها ويعرف هو لمَ الناس تحبها حد الفتنة... وإذا أصر على مقاطعتها والاستمرار في عدائها فيكون بذلك اكتشف حقائقها المجهولة... وبهذه الحسبة السريعة يكون رابحاً... أليس التعرف على عدوك وخصمك هو أفضل الطرق للتغلب عليه...؟!!

أما حزب المحبين فلن تغير الصفحات والكلمات في أنفسهم شيئاً... فالحب أعمى وليس له أطباء أو مرشدون... ومن وقع في هيام وغرام كرة القدم فبالتأكيد أنه تجاوز مرحلة الخطوبة... ولن يستمع لآراء الأحباء ولا الأعداء...

إنه كتاب مليء بالمتناقضات والمتكررات... أخذ هذه الصفات من كرة القدم نفسها... إنها لعبة التناقض... وكتاب عنها ولها يستوجب عليه أن يكون وفياً لأهم وأشهر وأبرز مواصفاتها وصفاتها...

إنه كتاب صعب يتكلم عن شيء سهل... صعب الوصف والتوصيف رغم أنه يتناول الشيء الأكثر تداولاً في الرأي والآراء... إنها المفارقة في لقاء ضدين يأبكل منهما الانحناء والتنازل وفسح المجال والطريق للآخر...

وهذا الآخر لعله أنت وأنا وهو...هذا كتاب قد تجد فيه المتناقضات وقد تجد المتشابهات... هذا كله يعكس شيئاً من واقع وحقيقة كرة القدم...

الملخص الذي يمكن الوصول إليه قبل إطلاق صافرة البداية للتوغل في عمق ملعب الخصم لأننا على ما يبدو سنظل الخصم والحكم مع استحالة الوصول إلى منطقة الجزاء أو المنطقة المحرمة كما يحب الكرويون تسميتها لأننا لانملك قوة هجومية ضاربة تساعدنا في تطبيق طريقة جريئة مندفعة سمعناها من مشجع دخل قبل قليل إلى أرض الملعب...

إن كرة القدم كلها منطقة محرمة ولهذا كان هذا الكتاب، ولهذا كان الكلام صعباً عن اللعبة التي أصابت العالم كله بالهوس والحب والجنون...

مباريات كرة القدم أمرٌ مميز للغاية، أمرٌ ينتظر هالناس بفارغ الصبر،أمرٌ يشرق الحياة.

الصحافي الأمريكي باتريك جيك أوروركي

العنوان.. هذا الصداع المزمن

إذا لم يعجبك عنوان الكتاب فليس أمامنا سوى العذر والاعتذار...

أما العذر فقد لا تصدق أن الاختيار وقع عليه من بين عشرات العناوين التي كانت بين أيدينا وتحت أنظارنا...

إن كتاباً عن كرة القدم يفتح لك المجال شاسعاً لأسماء مثيرة وغريبة وحيوية وأيضاً من وحي مسميات اللعبة ذاتها... هذه مثلاً البرامج الرياضية حول العالم.. مئات العناوين المختلفة تحاكي أجواء الملاعب والنجوم واللاعبين وقانون الكرة...

أحياناً تكون هذه الخيارات المتدفقة ضدك لا معك... هذا ما حدث بالفعل...

أخذ عنوان الكتاب وقتاً طويلاً في التشاور والسؤال والأخذ والرد والرفض والقبول... يختلف الزوجان والأبوان على مسمى وليدهم الجديد... أحياناً يصل هذا الخلاف أو الاختلاف إلى مناطق حساسة قد تنتهي معها العلاقة الأسرية أو أن الاسم يترك شرخاً أو جرحاً ماثلاً فيما تبقى من حياتهما...

هناك قصص وحكاوى كثيرة في العالم العربي تناولتها الصحافة من باب الندرة والسخرية لكنها ظلت أمراً قائماً وحدثاً مستمراً...

اخترنا الاسم ولا ندري هل فعلاً صاحبنا التوفيق أم جانبنا الصواب...

كنا نريد عنواناً يليق بتاريخ وهوية ومكانة وقوة كرة القدم... كنا نريد القول باختصار شديد ودون تعقيد إن هذه اللعبة ليست سوى عالمٍصاخبٍ بذاته استطاع بجلده المنفوخ أن يملأ الدنيا ويشغل الناس كما كان يقول أبوالطيب رحمه الله...

إننا لانملك إذا لم يعجبك هذا العنوان إلا الاعتذار الشديد وعزاؤنا الوحيد أن الحيرة التي تلبستنا هي مايشفع لنا على الأقل أمام أنفسنا إذا كان الاسم غرد بعيداً عن المضمون...

لقد ظلت كرة القدم في أعين مناهضيها تمشي في الاتجاه الخطأ بسبب اهتمام ورعاية عشاقها.. كان العنوان الأول (في الاتجاه الخطأ... كرة القدم حياة طويلة بين الممكن والمستحيل)... أدركنا بعد وقت طويل أن العنوان ربما هو الذي كان يمشي في الاتجاهالخطأ، فاضطررنا للتغيير كما فعلنا عشرات المرات.

إذا كان عنواننا الذي اخترناه هذه المرة في الاتجاه الخطأ فعلاً فهذا جاء من منطلق أن كرة القدم هي السبب وليس نحن...

حاولنا ربط الكرة الأرضية بكرة القدم في عنوان وكلمات مختصرة لأن هناك علاقة روحية بين الكرتين جعلت منهما نسقاً متداخلاً في الاسم والهوية... والشرح هنا قد يطول لنعود إلى المربع الأول ونؤكد مجدداً ودائماً أننا فعلاً مصابون بالحيرة والارتباك... أساساً محاولة الكلام عن كرة القدم بطريقة علمية ونظرية إنما هو السير في الاتجاه الخطأ... اتفقنا أخيراً أن يكون عنواننا (كرة القدم لغير الناطقين بها).. أردنا أن نقول إن كرة القدم إذا لم توازِالكرة الأرضية فهي على الأقل إحدى لغاتها الحية.

إذا كان في العنوان خطأ واضح المعالم أو كان الكتاب وخروجه للضوء خطأً واضحاً... فإن العنوان ليس سوى شهادة براءة وعلاج فعال لصداع مزمن أصابنا ونحن نبحث عن هوية كتاب مثل هذا... ولم نجدها...

المعذرة... المعذرة!!

الحياة عبارة عن ملعب كرة قدم، ألا تظنون كذلك؟

المغنية الكولومبية شاكيرا

هذا التاريخ لاتصدقوه

لا فائدة مرجوة من كتابة التاريخ مع العمل الإبداعي.. الآن لا يهم الناس من اخترع الطائرة وبعد مائة عام ربما لا يتذكرون كيف ولد الأيفون.. التاريخ يتضاد تماماً مع الإبداع... كيف بدأت كرة القدم...؟... هذا سؤال شائك فيه الكثير من اللغط وكثير من الأكاذيب والخداع وتزوير الحقيقة... يقال إن الإنجليز هم من أسس كرة القدم كما نراها اليوم.

عام 1409 استخدم الإنجليز لأول مرة مصطلح كرة القدم... وانتظروا قرابة الثلاثمائة عام حتى تم تأسيس أقدم الأندية في العالم وبالتحديد سنة 1857م، وبعد 14 عاماً وتحديداً سنة 1871م أصبح الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم الأول من نوعه وبين أقرانه ونظرائه في التاريخ... وفي عام 1888م شهدت إنجلترا إقامة أول مباراة ضمن منافسات الدوري على الطريقة نفسها المعمول بها حتى يومنا هذا...

بالعودة إلى الوراء يحكي الإنجليز أن بلادهم شهدت عام 1280م مباريات خاصة بركل الكرة في منطقة أولجهام لكن اللعبة لم تستمر طويلاً بقرار ملكي بحجة ما تحمله تلك الألعاب من مظاهر عنيفة من شأنها إلحاق الضرر بمن يمارسها في ظل عدم إقرار قوانين تحمي المشاركين، وجاءت هذه الخطوة بعد تسجيل حالة وفاة لاعب متأثراً بإصابة قوية في مقدمة الرأس إثر ارتطامه بالأرض... منذ ذلك الحين والإنجليز يحترمون الإنسان... ويقال في السنوات الأولى من القرن الخامس عشر شهدت بريطانيا أول لعبة فيها مراوغة وركل الكرة إلى جهتين مختلفتين وبوجود فريقين متنافسين قبل أن يتم الإعلان عن اختراع أول حذاء رياضي خاص لهذه اللعبة مطلع العام 1526م... وفي بداية القرن السادس عشر أشار الطالب الإنجليزي ريتشارد مولكاستر والذي أصبح فيما بعد مديراً لعدة مدارس ومعاهد تعليمية إلى مصطلحات ومفردات وكلمات وعبارات تشبه ما يتم تداوله في الوقت الحالي مثل الطرفين، والمقصود به الفريقان والترتيب وحاكم للطرفين قاصداً بالطبع حكم المباراة وأيضاً كلمة المدرب.. فيما تحدث الإنجليزيان جون نوردن وريتشارد كارو ولأول مرة عن مصطلح هدف في مطلع القرن السابع عشر حينما قال كارو: (يتم تثبيت شجرتين صغيرتين في الأرض على مسافة 8 و10 أقدام عن بعضها البعض وتكون المهمة المطلوبة التسجيل داخلها).. كما كان كارو هذا أول من تحدث عن مصطلح حارس المرمى في السنة ذاتها.

في عام 1838م تعرض صبي يافع يدعى جايمز ميلز ابن الثلاثة عشر ربيعاً إلى ثلاثة كسور في رجله أثناء ممارسته لكرة القدم ليضطر الأطباء إلى التدخل الجراحي وبتر القدم بالكامل، وألقت هذه الحادثة المروعة بظلالها على أجواء اللعبة... السخط الرسمي عاد مجدداً والقصر الملكي يرى بأن ما يحدث يتجاوز اللعب والرياضة... كان لزاماً على

المهتمين باستمرار اللعبة تقديم حلول عاجلة وإعلان حالة الطوارئ لإنقاذها في ظل التصادم مع الجهات المعنية بسلامة الناس وصحتهم...

ثم وضع بعض القوانين التي تهدف أولاً وأخيراً إلى حماية اللاعبين من حالات الاصطدام والعنف... هدأت اللغة القاسية التي كانت تصدر من القصر باتجاه الكرة بينما تتزايد شعبيتها بسرعة مذهلة...

في عام 1844م نشرت صحيفة الجارديان إعلاناً عن رغبة أحد الأثرياء بشراء ملعب لكرة القدم بالقرب من شارع أكسفورد اللندني الشهير... كانت خطوة لها معانٍ بليغة ورسالة واضحة المعالم أن كرة القدم سائرة إلى طريق ليس له نهاية... كرة القدم تنتشر بصورة مذهلة في المدارس، وكانت كل مدرسة لها قوانينها الخاصة مع الاحتفاظ بالإطار العام لفلسفة اللعبة... عام 1848م عرفت إنجلترا ما يسمى بقانون جامعة كامبريدج وبعدها بسبع سنوات أي عام 1855م ظهر ما عُرف بقوانين نادي شيفيلد، ثم بعدها جاءت قوانين جاي لي شرينج عام 1862م، لكن كافة هذه الأنظمة والقوانين لم تفلح بولادة كرة القدم على حقيقتها كونها كانت تسمح باستخدام الأيدي، وكرة القدم تكاد تكون الوحيدة التي تجعل من اليدين خارج نطاق التغطية...

هناك مقال صحفي كتبته شخصية رياضية تدعى ابنيرز كوب مورلي في صحيفة بيلز لايف عام 1863م طالب خلاله بضرورة إيجاد ما يشبه الهيئة المستقلة لإدارة شؤون اللعبة... لم تمر كلمات ذلك المقال مرور الكرام ولم يكن مجرد حبر على ورق، بل نجح في إشعال جذوة وقبس من نور وأتى بتاريخ أكبر مما كان يتوقع مورلي نفسه... لم تمر أسابيع حتى عقدت في بريطانيا عدة اجتماعات ضمت أسماء كثيرة ونافذة مهتمة باللعبة وخرجت فيما بعد بالاتفاق على تأسيس الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم قبل أن يطوي الزمن شمس العام الذي كتب فيه المقال ليصبح الإنجليز أصحاب أول اتحاد كروي في العالم أجمع...

وإيماناً بفضل وجهود ومساعي مورلي أطلق عليه الإنجليز لقب (أب كرة القدم) حيث تولى في الفترة بين 1863-1866م منصب السكرتير الأول في اتحاد كرة القدم الإنجليزي،وكان قبلها بالطبع قد أسس نادي بارنز عام 1858م ويحسب له وهذا هو الأهم بأنه اعتمد قوانين جامعة كامبريدج لتكون هي المرجعية الأساسية لكرة القدم بعد أن أعلن عنها يوم السادس والعشرين من أكتوبر عام 1863م والتي تحدثت عن ملعب كرة القدم وعدد اللاعبين والمعدات والحكام ومدة المباراة وطريقة بداية واستئناف ونهاية اللعب والتسلل وتسجيل الأهداف والأخطاء والكرات الثابتة المباشرة وغير المباشرة وركلة الجزاء ورمية التماس والمرمى والركلة الركنية...

باختصار يمكن القول إن القانون الكروي الذي يطبق بكل وضوح في كل مكان حول العالم جاء برؤية وابتكار رجل إنجليزي اسمه مورلي قبل أكثر من 150 عاماً... إن مورلي هذا أسطورة تستحق تجربته ونظرته البعيدة ليس الاحترام والتقدير والإنصاف فحسب... هذه أشياء يحصل عليها أقل الناس إبداعاً وعملاً وعطاءً... ما فعله مورلي لا يقل عما فعله مخترع الكهرباء الأمريكي توماس أديسون، ولا يقل عما فعله الأخوانرايت باختراع الطائرة، ولا يقل عما فعله مكتشف النظرية النسبية آلبرت آينشتاين...

أن تشرح لأحد كيف تعمل الكهرباء وكيف يمكن الاستفادة من الطاقة وكيف تقلع وتهبط الطائرة بقوة الدفع والسير عكس اتجاه الريح والخوض في أسرار الفيزياء والكيمياء... كل هذا يمكن شرحه وتفنيده وتبسيطه بطريقة نظرية... لكن استيعابه وتطبيقه... هنا مكمن المشكلة... كرة القدم صناعة إنسانية حيوية غير قابلة للانقراض أو التواري خلف أي تغييرات تفرضها البشرية... تتغير الأدوات والملابس والملاعب والنقل التلفزيوني والإعلانات وأنواع الإضاءات ووقت المباريات... تتغير الوجوه والأجيال أيضاً... شيء واحد لا يتغير... إحساس عميق بأن اللعبة ليست سوى شيء من أبجديات وأولويات الحياة... هكذا بكل بساطة...

ومن هذه الزاوية يمكن التعاطي مع اختراع مورلي... إذا أردت دائماً تقييم الأشياء فلا تبحث عن المقارنات مع المتشابهات... اجعل مقياسك دائماً هي الحاجة... ألم يقولوا بأن الحاجة أم الاختراع... أنت وأنا وهو نحتاج فعلاً إلى شيء اسمه كرة القدم... ما مدى هذه الحاجة... أين تتوقف حدودها... متى يمكن التفكير بأنها لا تستحق كل هذا الاهتمام... الإجابات الصادقة وحدها ستضعك أمام الحقيقة الكاملة... يقولون إن الإنسان الحقيقي هو الذي يعرف متى ينتهي وليس من يعرف متى يبدأ... متى ستنتهي كرة القدم... بالطبع هذا السؤال الأكثر غباء منذ ولادة اللعبة على يد والدها العظيم مورلي... صغيرتك وفاتنتك ومعشوقتك أذهلت العالم بأسره... اجتذبت الملايين... وصرفت عليها ومن أجلها المليارات... وسيقتوراءها التكهنات والمؤامرات والتحديات... عقدت تحت قدميها المؤتمرات والندوات... قيلت فيها الخطب العصماء... كأنها غزوة مرعبة بجنرالات الحربين العالميتين الأولى والثانية... يبدو أن كرة القدم يا مورلي ليست سوى حرب عالمية ثالثة...!!

هناك رواية قد تتواءم أكثر مع واقع كرة القدم... يقال في صفحات التاريخ التي قد يشوبها هي أيضاً الصدق القليل إن فكرة كرة القدم انطلقت من ثورة شعبية في إحدى دول شرق آسيا وقد تكون الصين أقربها ضد حاكم ديكتاتوري ونجح المحتجون في الوصول إلى قصر الرئاسة وقتلوا الحاكم ومثلوا بجثته ثم فصلوا رأسه عن جسده وطافوا بها الشوارع وتجمعوا في الساحة العامة وسط المدينة الكبيرة ورموا الرأس المنزوع تحت الأقدام وبدؤوا يركلونه بأقدامهم بشعور الفرح والتحدي والقوة والانتصار... وبعدها أعجبتهم الفكرة واخترعوا لهم كرة من القش والجلد والإسفنج وصاروا يركلونها بأقدامهم فولدت فكرة كرة القدم... هذه رواية من روايات التاريخ... هل أنت مضطر لتصديقها... إنه التاريخ

وحكاياته التي ليس فيه للعقل مكان... كما هي كرة القدم تماماً... مجرد لعبة كما يسمونها.. لعبة تلغي المسافة بين العقل والقلب... تلغي التاريخ وتتجاوز الجغرافيا... وهذا هو أهم مافي تاريخها...!!

لم يكن لدي وقت لمتابعة كرة القدم، لكنني أدركت أنها رياضة عالمية خلال سفري حول العالم. في كل مكان أذهب إليه أجد الأطفال يلعبونها، وأسمع الناس يتحدثون عنها.

مؤسس مايكروسوفت بيل جيتس

لغير الناطقين بها

يحكي الناس في كل مكان لغتهم الأصلية... يسمونها اللغة الأم أي التي وجدوا أنفسهم دون الحاجة إلى تعليم أو مهارة أو دورات دراسية يتحدثون بها... لكل مجتمع ولكل شعب لغته التي تتلبس على ألسنتهم وشفاههم... يقال إن اللغة الصينية لديها الرقم الأعلى من المتحدثين بها وهذا نتاج طبيعي للنسبة والعدد المهول من الناس في الصين نفسها... هناك الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والعربية...

هناك أيضاً لغات انقرضت وماتت وما عاد لها وجود أو تداول أو متحدثين بها... يصعب كثيراً التعاطي مع كرة القدم كمجرد لعبة وكمجرد رياضة وكمجرد هواية يمكن التنفيس فيها عن الأنفس المكتئبة... نعم وبالفعل هي لعبة الألعاب وأم الألعاب وسيدة الألعاب لكن هذا كله لا يكفيها لتكون موضع اهتمام حين نذهب متحدثين عن رابط يوثق العلاقة بين الناس... لا شيء سوى اللغة هي التي تضعك في طابور متصل مع من سواك...

كرة القدم لا يمكنها أن تبقى لعبة فقط... هي أقرب للغة إذا أخذنا المسألة وأخضعناها قياساً بتفاهم البشر فيما بينهم... يتعرف أهل القرى الصغيرة على الغرباء أسرع من غيرهم... مكان محدود وصغير المساحة وقليل السكان ويعرفون بعضهم بالشكل والصوت وكل التفاصيل... إذا جاء غريب إلى القرية ولا يتكلم لغتها فإن معرفة كونه وافداً غريباً لا تحتاج إلى جهود مضنية... هذه كرة القدم أيضاً... ربما هي القرية التي تدعى العالمية... إنها اللغة التي يتحدث بها أغلب سكان الأرض...

الذين لا يتحدثون كرة القدم تبدو وجوههم وألسنتهم وعباراتهم ومفرداتهم وكلماتهم غريبة لا تفهم بسهولة، وبسرعة يكتشف أنهم مجرد غرباء على هذا العالم... إن كرة القدم لغة لا يمكن اختصارها أو تفسيرها أو ترجمتها إلا من خلال نظرية القرية الصغيرة. ليس أمامنا حلول ناجعة لوضع كرة القدم في مكانها الصحيح سوى القول والتأكيد على أنها لغة يمكن لغير الناطقين بها دخول القرية والتعايش مع أهلها بحب وسلام وروح رياضية...!!

شاهدت في إحدى المناسبات مباراة كرة قدم في سياتل. لست من محبّي هذه الرياضة، لكن مشاهدة مباراة في الملعب هو أمر لا يصدق. ذهبت لاحقاً الى إيطاليا وشاهدت مباراة أخرى، وهو أمر على الجميع القيام به ولو لمرة واحدة، لأنه يصيبك بالجنون .

الكاتب الأمريكي وصاحب سلسلة المطاعم جي فييري

في الاتجاه الخطأ

الذين يعتقدون أن تصاعد مسيرة كرة القدم ستصطدم يوماً بواقع جديد إنما يمشون في الاتجاه الخطأ... فليس شيء يلوح في الأفق القريب أو البعيد بإمكانه إزاحة الصخرة من أعلى الجبل، فالرياح العاتية تمر عليها مرور الكرام والعواصف لاتحرك فيها ساكناً... والأمطار الغزيرة تهطل كل عام فتغسل الغبار عنها ليس إلا...

أما نهايتها أو توقفها أو تراجعها فهذه جميعها رهانات خاسرة لايمكنها تحقيق مرابح ومكاسب واقعية... أي محاولة لإزاحة كرة القدم عن مكانتها وموقعها ورمزيتها ليس سوى حلم عبثي لايمكن فتح نافذة النقاش ليس لتحقيقه فحسب بل حتى مجرد التعاطي معه كفكرة تبدو كالأشجار التي تساقطت أوراقها في أول الخريف...

فالأمر محسوم تماماً ويجب على المحاولين والمتنافسين الحديث فقط عن الوصافة والمركز الثاني والمقعد القابع خلف المتصدر تماماً... يمكن في هذا الاتجاه فتح المجال متسعاً لكل الآراء والأصوات والأبحاث والدراسات لتدلي بدلوها عمّن لديه القدرة والاستطاعة أن يضع قدمه في المكان الذي أدارت فيه كرة القدم ظهرها مباشرة إليه لأن القمة الشاهقة احتجزت بقرار يبدو أن الناس اتفقت عليه ورفضت ومنعت منح أي واحدة من دولها الأعضاء على التصويت أو طرح مبادرة جديدة تفضي إلى حق الفيتو الذي امتلكته كرة القدم وأجبرت الجميع على التنازل عن مخططاتهم بإبعادها أو حرمانها من الموقع الجغرافي والتاريخي والإنساني الذي سلمه إياه اتفاق عابر للحدود وعابر للقارات...

هذا المكان لم تأخذه كرة القدم عنوة بل الناس هي التي جعلتها تتربع عليه... إنها لعبة التحدي الباحثة عن منافس لا يبدو له آثراً أو مستقبلاً..

إنك حينما تسعى وتحاول وتجتهد لوضع كرة القدم هذه في مصاف أي لعبة أو متعة توازيها إنما تسير بالاتجاه الخاطئ وعليك تصحيح مسارك والعودة وبسرعة إلى الطريق الصحيح لأنك لزاماً ستجد نفسك تمشي وحيداً بلامعين في طريق صاخب وطريق مليء بالعقبات والعثرات والمطبات الصناعية...

إنها محاولة الاتجاه الخاطئ والاتجاه الخطأ حينما تريد تغيير مسار التاريخ أمام الحقيقة الماثلة على عشب أخضر...

كرة القدم مثل أوبرا فاغنر: الموسيقى تتأرجح وتتدفق مع أوتار وأبواق،ومن ثم لحظة من النعيم الصافي عندما يغني جابرييل... إنها ذروة النشوة. .

الرسام اللبناني الأمريكي ربيع علم الدين

لماذا يحبونها.. لماذا يكرهونها؟

لا شيء في علم الاجتماع وعلم النفس يفسر حالة الحب والكراهية في حياة الإنسان... إنها عمليتان لا ترتبطان بأي مؤثرات أو ضغوطات أو رغبات... هما إحدى أسرار الروح التي لا يعلم أمرها ومستقرها إلا الله... في العلاقة البشرية المتجذرة مع كرة القدم بلغ الشعور الإنساني حد التعمق في كافة تفاصيل حياته ليبدوتفسير المحبة والكراهية مستعصياً على الفهم والشرح والإيضاح...

اتركوا محبة الفرق وكراهية فرق أخرى... ما هذه إلا إحدى التفريعات التي يمكن بسهولة التعاطي معها واستيعابها فيما يبقى السؤال المتكدس دون إجابة قاطعة ينمو ويتمدد... بالفعل لماذا يحب فريق عريض من الناس كرة القدم حد الإدمان وبنسبة أقل يكرهها ثلة من بني آدم لدرجة الحرب والقطيعة وتشويه السمعة...؟

ما من لعبة فعلت كل هذا في أحاسيس البشر... تدمع أعينهم في المدرجات فرحاً وحزناً على فوز أو خسارة... أحداث كثيرة توقفت فيها قلوب المشجعين وتحولوا إلى عداد الموتى والراحلين بعد فرصة لم تستطع دقات قلوبهم التماشي مع نتيجتها وكذلك بعد خسارة لم تستطع دماءهم الجارية وسط شراييهم الانضباط معها دون انخفاض أو

ارتفاع فيحل ملك الموت ويكتب نهايتهم الباكية... هذه لعبة تقتل الناس... هل تصلح أن تكون مجرد لعبة... لا نتيجة يمكن ملامستها أو الاقتراب منها للقول إن الناس تحب كرة القدم ونسرد أسباباً طويلة... ولا نتيجة أخرى بمقدورنا لملمتها لنرمي وبقلوب قوية عوامل جعلتهم يكرهونها كما يكرهون العمى... لكن ما يمكن قوله ولا نلام عليه هي فقط رسالة من تحت الماء أو فوق السطح مفادها أن من يحبها معه حق... هكذا بكل بساطة... أما من يكرهها فعليه فقط قبول النتيجة والتوقف عن ملامة ومعاقبة تلك الملايين العاشقة...

مهما تعددت الأقوال حول قضية التضاد بين المحبين والكارهين لكرة القدم فلابد أن يصمد الأهم بين هؤلاء وهؤلاء بالقول إن من يحب كرة القدم يجب عليه أن لا يخجل من تبعات وآثار هذا الحب وهذه العلاقة، فليس وحده وإنما مثله ملايين تسكن كل مكان على أرضنا هذه... أما من لا يحبها أو يكرهها فلا ضرار ولا حرج ولا ضير ولا معيبة أو منقصة أن يعيد النظر ويفكر من جديد... أيها الكارهون تذكروا دائماً... ليس للحب معنى ولا سبب... الكراهية هي القضية وليس العكس...!!

كان لدي شغف كبير تجاه كرة القدم، ومازلت كذلك. اعتدت على الاستيقاظ متوتراً عند السادسة صباحاً إنك انلدي مباراة كرة قدم، لكني دائماً أشعر بالهدوء قبل مباريات التنس ،ومازت لا أدرك لماذا. .

نجم التنس الإسباني رافاييل نادال

16 سبباً.. لماذا هي بالذات؟

ليست أبداً أسباب عابرة وهامشية رغم بساطتها تلك التي جعلت من كرة القدم لعبة تسود نظيراتها ومثيلاتها رغم كل التحفظ على أن هناك ما يوازيها أو حتى ينافسها ويشاركها في ذلك الضوء الذي استحوذوا عليه في كل مكان، فقدمت نفسها كما تتقدم العرائس في حفلات زفافهن ليلة العمر... لتظل كرة القدم بالأدلة والأرقام والإحصائيات هي العروس التي يُحتفى بها كل ليلة دون النظر إلى التوقيت والمناسبة، فمهما حاول المحاولون أن يجدوا للألعاب الأخرى قبساً من نور في المنافسات الدولية أو الإقليمية أو الأولمبية إلا أنها تأتي خجولة هادئة لايصحبها ذلك الصخب وذلك الاهتمام الذي يلاحق كرة القدم أينما حلت خطاها...

لقد أصبحت هذه اللعبة أسطورة حية تتشابه تماماً كما كانت الأميرة الراحلة ديانا التي قضت في حادث سير وسط العاصمة الفرنسية باريس بعد أن أمضت قرابة العشرين عاماً كوجه إنساني استثنائي اختطف الاهتمامات كلما جاء الحديث عن المرأة حول العالم، فاجتذبت ديانا بحضورها وشخصيتها وأنشطتها وتعاملها الأنظار فصارت في أيامها وحياتها المرأة الأكثر أصداء بين نظيراتها وشقيقاتها من بني جنسها، وما كرة القدم إلا ديانا أخرى بشكل مختلف ووجه مختلف وتاريخ مختلف.. إنها تتشابه مع ديانا بالحضور والجاذبية وتلك الحالة الأسطورية التي عصي على الآخرين مزاحمتها والاقتراب منها...

لكن ماهي الأسباب التي جعلت من كرة القدم تنتزع القمة والمراكز الأولى وتتربع على العرش بتلك الثقة والقوة والإصرار كما هو حال إمبراطور إغريقي انتصر في معارك شرسة وطاحنة وترك لخصومه الويلات والحسرات والخسائر الموجعة... ونعتقد أن إجابة هذا السؤال تتلخص في ستة عشر سبباً ويمكن أن يكون في هذه الأسباب اشتراكات تتداخل مع منظومة وصيغة وطبيعة ألعاب أخرى لكن كرة القدم وحدها التي احتوت جميع هذه الأسباب، فكرة اليد وكرة السلة والكرة الطائرة كلها تتشابه في الجزيئيات الأساسية لكن كرة القدم تختلف كونها تلعب بالقدم وهذا سرها الكبير...

اليد خلقت لتمسك بالأشياء وتطوعها وتشكلها، أما الأقدام فهي مرتبطة بالجسد الإنساني من أجل المشي والحركة، وحينما تمشي هذه الأقدام وتلعب وتمارس المهارة الإنسانية فهنا يأتي ما نريد الوصول إليه... أما الأسباب الستة عشر فيمكن عدها وسردها وتلخيصها

أولاً: قانونها السهل المتاح

والمعنى هنا أن قانون كرة القدم بسيط وواضح ولايخالجه أي تعقيدات ربما تشوه تركيبتها، فهناك ألعاب أخرى كثيرة تحتاج إلى شروحات مطولة تجعلها عرضة للابتعاد

والنفي والمقاطعة... فقانون كرة القدم صار دستوراً محفوظاً عن ظهر قلب لكافة من يملك حتى الحد الأدنى من الاهتمام ومتابعة اللعبة التي أصبحت بجدارة الأولى شعبياً في العالم لدرجة أنها بذلك كوّنت لها ما يمكن وصفه بالثقافة الإنسانية للمتعاملين معها، بحيث تلغي فرضية خشية ممارستها أو التعاطي معها بسبب قانونها أو أساسياتها...

فالناس بشكل عام لا تتعامل مع القانون والأنظمة بصورة طبيعية وتسعى إلى اختراق التعليمات الصارمة متى ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وهذا كما قلنا إنما هو جزء من كمائن الأنفس البشرية التي اعتاد الكثير منها على تجاوز الخطوط الحمراء...

وما يقال عن ممارسي الكرة يقال وبالمقياسنفسه عن أولئك المتفرجين أو المتابعين فلا فرق جوهري أو كبير أو مسافة شاسعة مع المنضمين في أجواء اللعبة من رأسهم حتى أخمص قدميهم، فالرؤية فيما يخص القانون واحد لايزيد ولا ينقص ولاعجب في ذلك حينما ينبري الكثير من المشجعين الجالسين في مقاعد المدرجات أو القابعين خلف الشاشات أثناء متابعة المباراة بالإفتاء وإبداء الرأي بحجة وقوة حول أي قرار اتخذه حكم اللقاء وقاضيها وأطلق صافرته مشعلاً جدلاً لاينتهي بين ما حدث وما يفترض أن يحدث...

إن قانون كرة القدم الذي لايتوقف الكثيرون عند تفاصيله ولاينبهر الكثيرون في تقاسيمه إنما هو سر أسرار نبوغ اللعبة وتفردها وسحرها الذي لاينقطع...

ثانياً: متعتها ولذتها التي تتعدى الحدود:

فلا تتطلب كرة القدم الدخول في أجوائها حتى يمكن الاستمتاع بها، فحتى لو لم تكن قد ركلت الكرة ولو لمرة واحدة في حياتك فبإمكانك أن تعيش لحظات سعيدة داخل إطارها وداخل عالمها المليء بالتحدي والقوة والإثارة والتشويق...

هناك الملايين حول العالم يتابعون بصورة جنونية المواجهات المحلية والدولية وكافة المنافسات الكروية رغم أنهم لم يسبق لهم أن خاضوا مباراة واحدة في حياتهم... وإذا أردنا توسيع نطاق هذه القضية فيمكننا القول إن المدرجات تكتظ في دول أوروبية بأوجه نسائية تتابع وتشجع بحماس وشغف لايوصف في وقت ظلت كرة القدم غريبة عن المرأة حتى قبل سنوات قليلة... المتعة واللذة فيها ليست مقتصرة أبداً على من يمارسها فحسب وإنما تشمل من هم خارج الملعب...

إنها لعبة للجميع ومتاحة للاستمتاع من الجميع ودون فرض اشتراطات أو قيود... إنها السحر المباح الذي أبهر الجميع.

ثالثاً: عدم التقيد بعدد اللاعبين

المتعارف عليه في المواجهات الرسمية التي تقام تحت مظلة الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) بأن هناك أحد عشر لاعباً يقابلهم في الجهة المقابلة أحد عشر لاعباً آخرين وهذا أمر إلزامي فيما يخص المواجهات التي تأخذ الطابع الرسمي سواء كانت هذه المباراة داخل إطار منافسة محلية أو قارية أو إقليمية أو دولية أو كذلك مواجهة ودية، فهو أمر لايحتاج حتى لإلقاء الضوء عليه كونه من أهم قواعد وقوانين وأنظمة اللعبة، لكن كسر هذه القاعدة متاح وفي متناول الجميع حينما تقام مباراة في حارة أو في تدريب أو داخل مدرسة فيمكن أن يلتقي ثلاثة ضد ثلاثة أو أربعة ضد أربعة وهكذا، بمعنى أنها لا تعتمد على قاعدة العدد حين إقامتها خارج إطار الرسمية بل لن يكون هناك أي مبالغة إذا قلنا إن من الممكن أن يتواجه لاعبان فقط ضد بعضهما البعض في حال تهيأت الظروف والأجواء الجغرافية...

وأيضاً سيستمتع بها اللاعب حتى لو مارسها لوحده فقط وهذا بالطبع من غرائبها وعجائبها... الأمر الذي يعني أن كرة القدم بشخصيتها وهويتها تتغلب بسهولة على هذا العامل الحيوي في منظومة أي لعبة أخرى وهو ما يعطيها بعداً ومزايا إضافية لتفرض نفسها بقوة وثقة كلعبة لايمكن منافستها حينما يأتي الحديث عن الشعبية والانتشار.

رابعاً: أخطاء التحكيم وهفواته وكوارثه:

لا غرابة بأن يردد الكرويون دائماً ما يعني في مجمله أن أخطاء التحكيم جزء من اللعبة، فهناك مئات من تلك الأخطاء التي ساهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تحويل مسار بطولة أو لقب من فريق أو منتخب إلى الجهة الثانية...

وذاكرة الكرة العالمية والمحلية تحتفظ بمئات المواقف والأحداث التي لازال صداها يتردد في آفاق تلك المناسبات...

وأنصار أي فريق لديهم مخزون هائل من هفوات ارتكبها حكام كرة القدم أسهمت في حرمان فريقهم المفضل من انتصار أو بطولة كان أقرب إليها من حبل الوريد لولا تدخل صافرة أطلقت ظلماً وبهتاناً فتبخرت الأحلام في غمضة عين، فقد سعى المشرعون في اتحاد اللعبة الدولي كثيراً إلى الحد أو التقليل من أخطاء التحكيم دون جدوى لدرجة الاستعانة بشكل مباشر بالتقنية الحديثة والصورة الدقيقة والتكنولوجيا مع مواقف معترضة ومحتجة على هذا النهج كون تلك الأخطاء هي في واقع الأمر جزءاً من شخصية اللعبة وتشويقها وإثارتها، فملعب كرة القدم ليس ساحة عدالة أو قاعة محكمة حتى تفرض القانون والنظام بحذافيره ولكنه مجال واسع للمنافسة التي تعتمد أولاً وأخيراً على القدرات والتقديرات البشرية وهذا إنما هو إحدى أوجه متعة وشعبية وشهرة وإثارة وقوة كرة القدم..

لقد أعيت السبل المسؤولين في فيفا للحد من أخطاء وكوارث الحكام لكنهم أولاً وأخيراَ يصطدمون بحقيقة وواقعية أن تلك الأخطاء مهما تجسمت ستبقى عاملاً يعطي اللعبة المزيد من عوامل الخروج عن المألوف التي لا تتمتع بها لعبة أخرى أكثر من كرة القدم...

خامساً: لعبة تتحدى الأماكن

من الألعاب تحتاج إلى تجهيزات وأدوات وبيئة خاصة ومهيأة لممارستها إلا كرة القدم... ففي هذه الجزئية بالذات يبرز تمايزها وديناميكيتها التي أسهمت في رواجها وانتشارها، فيمكن أن تُقام داخل شوارع ضيقة، ويمكن أن تجري مباراة في باحة سوق شعبي أو ساحة حديقة أو في أي أرض فضاء واسعة كانت أم ضيقة...

يمكن وبلا مبالغة أن تقام مباراة مكتملة الأركان في مقدمة المنازل والفلل وأيضاً داخل المنازل نفسها في صالاتها... وبلا مبالغة على الأرصفة ودون اكتراث للسيارات العابرة...

الكثيرون مارسوا اللعبة في أماكن ومواقع يبدو تناولها أو ذكرها لتكون مسرحاً لمباراة كروية إنما هو ضرب من الخيال والقفز على واقع الأمور لكنها الحقيقة الصامدة بأن كرة القدم تجري منافساتها في حارة صغيرة بائسة، وتجري بجانب برج إيفل، وتجري على أطراف نهر النيل، وتجري داخل غابة موحشة في أدغال أفريقيا...

وحتى نجوم الكرة العالميون الحاليون والسابقون لهم ذكريات طويلة في هذا المجال وكيف لعبوا كرة القدم ومارسوها وخطوا السطر الأول من تاريخهم في مكان يفتقد لكل مقومات الرياضة... لكنها كرة القدم وحدها التي تبقى دائماً على استعداد تام لأن تقام دون أن تخذل عشاقها متحدية التاريخ والجغرافيا معاً... إنها عابرة الزمان وعابرة المكان...

سادساً: طرق عديدة ومتنوعة لممارستها والاستمتاع بها

ليس بالضرورة أن تمارس اللعبة بشكل متكامل... بمعنى يمكن أن تلعبها بتسديد ركلات ترجيح، أو تسديد ضربات ثابتة بعيدة المدى، أو استعراض مهاراتك الذاتية والشخصية مع الكرة فقط، أو حتى اختبار قدراتك بالضربات الرأسية مثلاً، ويمكن أيضاً أن يمارسها لاعبان بدون التقيد بقانون المرمى أو الهدف أو غيره، فالمعنى الذي نريد الوصول إليه ونقف عنده هو القول إن كرة القدم مجال واسع ومفتوح على كل الاحتمالات لممارسة لعبة يمكن وبسهولة الاستمتاع بها وبأوجه وطرائق وسبل كثيرة ومتعددة...

يبرز هنا سؤال هل هناك لعبة تستطيع ممارستها لوحدك؟... بالطبع قد تجد ألعاباً أخرى لكنها نادرة ونادرة جداً.. كرة القدم وحدها يمكنك الاستمتاع بها وبطرق كثيرة وحيداً.. هناك

لاعبون كثر اشتهروا بممارسة واستعراض الألعاب الفردية التي تستقطب اهتمام الجماهير ومحبتها...

سابعاً: السهولة عنوانها مكاناً وزماناً

لا تتطلب كرة القدم أي استعدادات وتجهيزات مسبقة ولكون ممارستها في أي وقت وأي مكان متاحاً على الدوام، فإن أمر اتخاذ قرار إقامتها سهل للغاية خاصة إذا ماتم المقارنة مع أي لعبة أخرى قد تحتاج إلى أجواء وطقوس وترتيبات، وهذه السهولة والمرونة التي تتمتع بها كرة القدم جعلها مقصداً دائماً وسريعاً كهواية مفضلة تحتل المرتبة الأولى في سلم الهوايات الإنسانية على مختلف شعوب الأرض...

وهناك إمكانية كبيرة لممارستها دون الالتزام بأزياء رياضية، وإنما وكما يعرف الجميع في هذا السياق فإن كرة القدم تمارس أحياناً حتى بملابس موغلة في الرسمية... ففي رياضة الجولف مثلاً أنت بحاجة إلى مساحة وأدوات وتجهيزات تتطلب أموالاً طائلة...

مايقال عن الجولف يقال بالنسق ذاته عن الخيول والتنس الأرضي والسباحة وعشرات الألعاب الأخرى... كل لعبة تقدم دليلاً أوضح من الحقيقة ذاتها بأن كرة القدم ليس لها عنوان ومكان وزمان إلا السهولة في أقصى صورها...

ثامناً: بحضورها الجميع متساوون

داخل غرفة اجتماعات يحمل المتفاوضون رؤاهم وأفكارهم ويضعون أوراقهم على الطاولة... لكن الرؤوس لاتبدو متساوية تماماً فهناك الخلفية التاريخية والقوة الاقتصادية والمكانة الدولية...

حينما تتفاوض دولة ذات قدرات صناعية أو اقتصادية أو بشرية مع دولة أخرى في أي مجال استثماري فإن ما تملكه يرجح من كفتها وقدرتها وقوتها وفرض شروطها مهما حاول الطرفان ادعاء المساواة بينها... ذاك يحدث جلياً في المفاوضات الإقليمية الدولية وبصورة دائمة... بريطانيا مثلاً حينما تجلس تتفاوض مع دولة أخرى فإن تاريخها وقدراتها العسكرية والثقافية والاقتصادية والبشرية تكون حاضرة بقوة في المفاوضات حتى وإن لم تكن معلنة بينما عندما يلعب الإنجليز مع منتخب منافس ومهما كان هذا المنتخب فإن كل شيء يلغى، وتبقى حدود الملعب ومجربات اللعبة تتحكم بكل شيء...

في كرة القدم تلغى كل الحسابات وتلغى خلفيتك وتاريخك ويبقى أمامك مقدرتك على الفوز في أرض الملعب...

عندما تتواجه البرازيل وأوغندا مثلاً فإن ما صنعته البرازيل طوال التاريخ لن يشفع لها بأي شيء في الفوز على أوغندا... هناك أحد عشر لاعباً وهناك تسعون دقيقة.. وهناك رؤوس متساوية.

تاسعا: الحظ يلعب فيها دوراً حيوياً

الحظ في مجمله لغة إنسانية شيقة ومحببة للنفس حينما يكون في صفنا.. ويكون كريهاً لئيماً جشعاً قاتلاً استفزازياً عندما يقف في وجوهنا.. وملاعب كرة القدم فيها من حكاوي الحظوظ الجيدة والسيئة ما يملأ الصفحات والمجلدات والذكريات، فكم من مرة ومرة بل ومئات المرات ساند هذا الحظ أندية ومنتخبات ضعيفة وعبر بها سواحل خصوم قوية وشرسة ومتمرسة وخبيرة...

ومن ضربة حظ طائشة ينتصر ويتغلب ويفوز ويتفوق من لايملك أي مؤهلات لتجاوز منافسيه، وهذا لايحدث على المطلق إلا في كرة القدم فقط لاغير عن سواها من الألعاب الأخرى... فالكرة الطائرة مثلاً على سبيل الاستعراض يفوز فيها من يمتلك الأسماء المؤهلة والقادرة على تجاوز الفريق المقابل وليس هناك أي مجال يستحق الذكر أو العرض للحظ، وما يقال عن الطائرة يقال وبالمقدار والمقياس نفسه عن السلة واليد والتنس وسواهما.. فإذا كان المتنافسان لديهما القوة والقدرة ذاتهما فطبيعي أن ينتصر أحدهما على الآخر وقد يتدخل الحظ وبنسبة بسيطة لاتذكر، أما كرة القدم فإن الحظ يقول كلمته المسموعة بصورة واضحة وصريحة وهذا ما يعطيها صخباً وإثارة وتشويقاً إضافياً...

ذاك يفسر بشكل واضح وأنت تواجه فريقاً أو منتخباً رمتك القرعة أمامه في بطولة خروج مغلوب فلا تلغِ الحظ من حساباتك سواء كان خصمك أقوى أو أضعف.. وهذا يعني أن الحظ يعد في كرة القدم لاعباً مؤثراً في قائمة اللاعبين... لانبالغ أبداً إذا قلنا إنه بمثابة لاعب مهم وقد يكون أحياناً كثيرة من أهم وأبرز وأفضل اللاعبين... مع ملاحظة أن هذا الحظ قد يسجل حضوره بين الأقوياء حينما يتواجهون وبين الضعفاء وكذلك دون انحصاره بالوقوف مع ضعيف ضد قوي...

يمكن أخيراً القول بأنه فعلاً لاعب... ربما يكون زائداً معك أو ناقصاً مع خصمك.

عاشراً: اللعبة الوحيدة التي تعتمد على القدم

الإنسان يتحكم بالأشياء من حوله بيديه فيكتب ويرسم ويحمل ويعزف ويرتب ويضرب بهاتين اليدين ويترك القدمين لمهمة المشي والجري وأيضاً لعب كرة القدم...

فالتحكم بالأشياء والسيطرة عليها عن طريق القدم أصعب كثيراً من اليدين وهذا أمر يعود أولاً وأخيراً إلى ما يمكن تسميته بسيكولوجية الجسد... التحكم باليد ليس فيه موهبة واضحة أو جمال، بينما القدم على الطرف الآخر يفرض عليها في هذه اللعبة شيء ليس من اختصاصها أو مهمتها..

ليس هناك أي لعبة أخرى بين كافة الألعاب التي يمارسها الرياضيون حول العالم يتم فيها استخدام القدم ومنع الاستعانة بالأيدي سوى كرة القدم التي تعتبر لمس الكرة باليد محرماً ومخالفة تستوجب العقوبة، ومن هنا يتضح بجلاء معنى أن تكون موهوباً ولاعباً فذاً في مجال ومحيط وعالم كرة القدم لأنك استطعت التفوق على نفسك أولاً ثم تفوقت على أندادك الآخرين...

لقد تميزت كرة القدم بأسلوبها وطريقتها وهويتها وأول هذا التميز انطلق من ممارستها وركلها وتسديدها بالقدم التي أخذت منها اسمها وهويتها... والأهم ذاك الشيء غير الملاحظ وهو أن القدم تمارس مهمتين في هذه اللعبة وبشكل متناغم وجميل وخيالي، فهي تسير وتمشي وتجري وأيضاً تتحكم خلال اللعب بالكرة... إنها لعبة شبه المستحيل في تفاصيل كثيرة.

الحادي عشر: حينما تفوز على منافسك القوي

في عالم كرة القدم وحدها ليس هناك نتيجة مضمونة مائة بالمائة... فالأقوياء أحياناً كثيرة يتساقطون أمام منافسين أقل إمكانية وأقل قدرة وأقل نجومية... فالأمل يحدو كافة المتنافسين على الخروج بالفوز والانتصار... وهناك مقولات شائعة ومتواترة ومتوارثة عند الكرويين... تقول (في النهاية هي الكرة) ومفادها أن كرة القدم لاتعترف بمفاصل القوة دائماً... وكل شخص يعرف كرة القدم يحفظ في ذاكرته عشرات المباريات التي تعكس هذه الحقيقة المتمثلة في انتصار الضعيف على القوي...

وفي عام 2004م قبل انطلاقة بطولة أمم أوروبا كانت الترشيحات منصبة وتدور رحاها حول ألمانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا والبلد المضيف البرتغال، لولا أن المفاجأة التي صعقت العالم بأسره وهو يتابع أقوى منافسة كروية عندما استطاع المنتخب اليوناني تخطي كافة العقبات وسار بخطى واثقة بقيادة مدربه الألماني ريهاجل، فأسقط كبار أوروبا الواحد تلو الآخر في مسيرة مفاجآت لم تنقطع حتى الوصول إلى نهائي المنافسة التي كان ينتظره فيها مستضيف البطولة المنتخب البرتغالي بزعامة الأسطورة كريستيان رونالدو ورفاقه، والذين أصيبوا بخيبة أمل تاريخية لاتنسى بعد أن دخلوا اللقاء والترشيحات والتوقعات ترافقهم للفوز باللقب أمام جماهيرهم التي اكتظ بها الملعب الدولي وسط العاصمة البرتغالية لشبونة... لولا أن أحفاد الإغريق كان لهم رأي آخر فانتزعوا الفوز والبطولة بضربة رأس من المهاجم كريستيان ليعيد بذلك ذكريات فوز الأوروجواي على

البرازيل في نهائي مونديال 1950م في ملعب الماراكانا الشهير وسط حضور ما يقارب من 200 ألف متفرج، حضروا لمساندة أصحاب القمصان الصفراء والاحتفال معهم باللقب المضمون، لكن الرياح هبت بما لايشتهي البرازيليون ففازت الأوروجواي بهدفين لهدف ليسجلا بذلك حالة تاريخية تقول إن الأقوى والأفضل والمرشح لايفوز دائماً، ولتكون حجة ودليلاً وبرهاناً ساطع الجبين يؤكد لجيل بعد جيل بأن الأقوياء يحضرون ويبدعون ويفوزون وينتصرون... ويبقى القرار الأول والأخير لكرة القدم التي لا ينتصر عليها أحد.

الثاني عشر: لا حاجة إلى مواصفات خاصة باللاعب واللعبة

إذا لم تكن ذا بنية جسمانية قوية وطول فارع فعلى الأغلب لاتصلح أن تكون لاعب سلة أو لاعب طائرة، وإذا لم تكن رشيقاً وتملك جسداً مرناً فيستحيل أن تصنف وتقف بجانب نجوم ولاعبي الجمباز...

والقوة الجسمانية ومواصفاتها متطلبات رئيسية في عشرات الألعاب، لكن كرة القدم تقف في ركن قصي لوحدها فاسحة المساحة الواسعة لكل من لديه موهبة أو بعض منها وتفسح الطرقات أمامه... فلاطول ولا قوة ولا قدرات جسمانية...بالتأكيد هذه القدرات الجسدية أهم وأفضل لولا أن هذه القدرات وغيابها لا تمنع أبداً أو تقف حاجزاً أو عائقاً من ممارسة اللعبة والوصول إلى آخر محطات الإبداع...

هذا هو مارادونا مثلاً أعظم موهبة كروية أنجبها التاريخ العريض لايمكن تصنيفه جسدياً كلاعب رياضي لكنه فعل الأعاجيب وغير مفاهيم وطور أساليب اللعبة من أولها إلى آخرها، فهذا المارد كما يعرفه الناس قصيراً ذا وزن لايتسم بالرشاقة أو الخفة ظاهرياً لولا أن موهبته الكروية طغت على كل شيء ومنحته مكانة يصعب على أجيال متعاقبة الوصول إليها، فلم يكن مارادونا موهبة فذة فحسب وإنما مع كل ما قدمه لكرة القدم والمتعة حول العالم قدم في السياق نفسه رسالة صغيرة مفادها أن كرة القدم يمكن أن تستضيف نجومها وأبطالها وعباقرتها دون النظر بعين الاستصغار لأجسادهم وأجسامهم ومواصفاتها.

الثالث عشر: يمكن لك ممارستها حكماً ولاعباً

الحكم جزء مهم في لعبة كرة القدموالألعاب الأخرى أيضاً لكن أوضاعه في كرة القدم يمكن أحياناً وصفها بالغريبة، فحتى تلك المباريات التي تجري في ملاعب صغيرة تتطلب وجود حكم يلعب دور القاضي وصاحب كلمة الفصل بين الفريقين، فإن لم يوجد حكم بصورة متكاملة من الممكن أن يقودها نظرياً حتى وإن كان متفرجاً خارج الملعب بل ربما يصبح الحكم أحد لاعبي الفريقين، وهذا بالطبع أسلوب معتاد وخارج نطاق الرسمية والمباريات الاعتيادية، فالكلام هنا عن مواجهات تتم وفق البيئة الاجتماعية التي دائماً ما تحاول

تبسيط أسلوب اللعبة الذي هو أساساً أمر مبسط وفي متناول الجميع... يصبح لاعباً بوضع رؤيته وراءه وحكماً ومفتياً فيها حتى وإن كان خارج الملعب... هذا يحدث في كرة القدم فقط...

الرابع عشر: يمكن أن تتحدث وأنت بعيد عن أجوائها

الذين يتحدثون عن التنس الأرضي أو سباق السيارات أو الأسكواش لابد أن يملكوا فائضاً من المعرفة والدراية عن هذه الألعاب وأسرارها وقوانينها وأنظمتها، لكن كرة القدم تعفيك من كل ذلك، فيكفي أن تكون متابعاً ومحباً اعتيادياً مثل بقية الناس حتى تستطيع الإدلاء بدلوك وقول رأيك في الحكم وفي اللاعبين وفي المدربين والإداريين والمشجعين... وهذا ما جعلها أكثر شعبوية واقتراباً والتصاقاً بالناس من غيرها، فكافة المتواجدين على المدرجات لديهم رأيهم الخاص ورؤيتهم حول كل شيء يتعلق بكرة القدم من ضربة البداية إلى صافرة النهاية... حتى لو لم تكن ملماً وسابراً في أغوارها فهذا أيضاً يجيز لك أن تقول ما تريد...

الخامس عشر: عائلة واحدة

لايتطلب الكلام عن كرة القدم ومناقشة تفاصيلها الكثيرة مزايا اجتماعية أو إنسانية أو عملية أو علمية خاصة... وإنما تجمع هذه اللعبة وحكايتها الأغنياء والفقراء والبسطاء والمنتمين إلى الطبقات المخملية والبرجوازية وعامة الناس، فهي وكما ألمحنا ساحة واسعة تحتضن من وقع أسيراً لمحبتها كما هم الملايين حول العالم... إنها لعبة الكلام المباح الذي لا يتطلب أي اشتراطات شخصية أو قدرات ذاتية خاصة وإنما المطلوب فقط قليل من الدراية وكثير من الحب والانغماس في عوالمها...

إنها جامعة مشرعة الأبواب والنوافذ ولاتحتاج لأي شهادة أو خبرة أو معرفة حتى تدخل رسمياً ضمن قائمة تستحق أن تقول ما لديها في هذا العالم المفعم بالتشويق والحب الذي لايشبه شيئاً آخر.

السادس عشر: متعة ممارستها يتساوى فيها الجميع

هذا هو السبب الأخير والمقصود هنا أنك تضع كل مميزاتك الاجتماعية والعلمية والعملية كونها لاتقدمولاتؤخر فيك أو لمصلحتك داخل الملعب والعكس صحيح تماماً... إنها كرة دائرية الشكل والهوية والمضمون... فمتعتها وآثارها النفسية تنعكس عليك أيها المعدوم بالقدر نفسه مع ذلك الذي يعيش حرفتها منعماً مرتاح الخاطر والبال... فكرة القدم تملك فائضاً كبيراً ومخزوناً هائلاً من ما يمكن وصفه وتسميته باجتذاب الفرحة من أقاصي

أماكن الهموم والتعاسة والأسى... وهذه الفرحة وتلك الحالة تبدو خاصة بكرة القدم وأجوائها... وفي خضم الأفراح والليالي تتوارى الفروقات وتغيب شمس الأصيل وراء الأفق البعيد...

إنها تمنحك مجالاً واسعاً في التحرك لا يشترط أن تكون موهوباً فذاً حتى تستمتع... وأنت قليل الموهبة تتساوى تماماً مع الموهوب المحترف في عالم وفضاء الحب والعشق والمتعة... وربما هناك أسباب تعرفها ونعرفها، وقد ضاعت في زحمة الكلام... ربما وجدت أو صادفت أسباباً تتشابه...مضطرين لقولها حتى وإن كانت الاختلافات بسيطة... نريد للصورة أن تكون أكثر وضوحاً كما هي كرة القدم التي لا يتضح شيء في عوالم الرياضة كوضوحها جالسة متربعة وحيدة في القمة... وأخيراً يمكن القول إن أهم سببين رئيسيين لشعبية كرة القدم ويلخصان معظم الأسباب هما سهولة ممارستها بكل ماتعنيه هذه الكلمة ثم لعبها بالقدم دون سواها من الألعاب الأخرى...

أريد رؤية أبنائي على مأدبة العشاء،وآخذهم الى أسرتهم عند المساء،وأريد أيضاً مشاهدتهم يلعبون كرة القدم بعد المدرسة.

الصحافية السياسيةال أمريكية ميجين كيلي

العنصرية.. المحارب الكبير

الأنظمة والتشريعات والقوانين تدين وتجرم وتحارب العنصرية ومشتقاتها ومنتجاتها ومخرجاتها... هذا عمل يؤديه العالم كله... ليس هناك مكان على وجه الأرض يسمح بممارسة أي نوع كان من العنصرية... لكن ما تفعله الدول بقدراتها الانضباطية والأمنية والاجتماعية فعلته كرة القدم بكل هدوء...

يعاقب فيفا الأندية مسؤوليها ولاعبيها وجماهيرها مع أي فعل وحدث يمكن تصنيفه بالعنصرية... تأتي العقوبات قاسية وموجعة وبلا رحمة إيماناً من المنظومة الكروية أن هذا الداء متى ما تسلل إلى الجسد الكروي الرياضي فسيعطله عن الحركة ويصيبه بالصداع والشلل ونقص المناعة...!!

- ساهمت كرة القدم بالحرب القوية على العنصرية وساعدت من خلال نجومها وانتشارها ونفوذها بانزواء هذا العضال النفسي الذي لا زالت تبعاته تضرب جسد الإنسانية بين حين وآخر ومن مكان إلى مكان...

- بالنجوم الكرويين الذين لا يختلفون فيما بينهم كانت الرسالة الواضحة والصريحة لتذهب هذه العنصرية البغيضة إلى أقرب مقبرة أو تنسى في صحراء بعيدة جيفة متعفنة تحوم حولها الغربان... في استعراض أبرز الأندية العالمية التي تهوى القلوب إليها لا وجود لفكرة ارتداء قميص الفريق وفقاً لمواصفات يمكن تصنيفها بالعنصرية... هذا أمر لا وجود له بتاتاً... هنا فتحت كرة القدم الباب على مصراعيه لتقول للناس إنها لعبة ليس فيها نجومية سوى للناجحين والمبدعين والمميزين، وأيضاً رسالة أخرى أكثر وضوحاً مفادها أن ذاك الإبداع ليس مقتصراً على عرق أو لون أو شعب أو ديانة...

إنها اللعبة التي تعاملت مع الإنسان فلا غرابة ولا عجب أن يبادلها هذا الإنسان المحبة والمودة ويرتبط معها واثقاً ومطمئناً لنواياها ومحباً لمبادئها... لم تحارب لعبة العنصرية كما فعلت لعبة الإنسان الأولى... إنها جزء منه ولا يمكنها أبداً أن تنحاز لفريق دون آخر... هذا لا يحدث هنا.. لا يحدث في آفاق كرة القدم التي ليس لها حدود...

لطالما قلت لأصدقائي في الولايات المتحدة إن هناك أسباباً جعلت كرة القدم الرياضة الأولى في العالم،فلا يمكن لجميع من على الكرة الأرضية أن يكون مخطئاً.

لاعب البيزبولا لأمريكي السابق بيليبين

السكان والمال والمكان

يقال إن الحب والحرب لا يعترفان بالمنطق... كرة القدم ليتها لا تعترف أو لاتعرف هذا المنطق وإنما هي تتعامل معه حينما تريد وتلغيه وتمسحه وتتجاهله حينما لاتريد... هكذا وبكل بساطة...

لا ترضخ لقوة المال والاقتصاد ولا تنحني أمام تعداد السكان ولا تتراخى تعاطفاً مع المكان والجغرافيا... إنها خارج المنطق تماماً...

هذه هي الصين مثلاً التي ربما يمثل تعداد أهلها وأبنائها وساكنيها ما يزيد عن ربع المتنفسين على هذه الأرض، لم تستطع تسجيل نجاحات مهمة وكبيرة ومدوية في التاريخ الكروي، ولم تستطع الوصول إلى نهائيات كأس العالم سوى مرة واحدة يتيمة كانت عام 2002م رغم أن المنتخب الصيني تأسس عام 1924م... وفي محيطه الإقليمي لاتقل هزائمه ونكساته وخيباته عن المونديال العالمي، فكان أفضل مركز يحققه المنتخب الصيني على امتداد البطولة الآسيوية حصوله على المركز الثاني عام 1984م... فكيف تكون هذه النتائج المتواضعة في سجل منتخب دولة يتجاوز عدد سكانها المليار والنصف...

وما يقال عن الصين يقال أيضاً عن دول ذات كثافة سكانية ضخمة مثل أمريكا وأندونيسيا والهند وباكستان وبنغلاديش... بينما قد تكون الكثافة السكانية ساعدت دولاً أخرى كالبرازيل مثلاً... ألا تستطيع دولة تملك ذلك العدد المهول من البشر صناعة أحد عشر لاعباً فقط يجعلون منها رقماً حاضراً وصعباً في أهم لعبة كروية رياضية تستحوذ على اهتمام الإعلام في كل مكان...

إن كرة القدم ببساطة هزمت قاعدة الغابة التي تزعم بأن الكثرة تغلب الشجاعة... الأرجنتين بسكانها الذين لايتجاوزون الأربعين مليوناً ستهزم الصين المليارية وبسهولة... هذا أحد الأسرار الكروية المعروفة التي قد يحتاج العالم إلى زمن آخر لفك طلاسمها...

أما لعبة الاقتصاد والمال فهي الأخرى تلهو خارج ذلك المنطق... هذه هي ألمانيا دولة متعلمة وصناعية وتسابق الزمن وكرة القدم فيها متطورة وقوية وعلى مستوى العالم كله... وتسجل فيها مواجهات الدوري نسبة متابعة تعد الأكثر على مستوى أوروبا... لم تعق أو تقف أجواء التحضر والمدنية الألمانية الراقية في موضع الضدية مع كرة القدم بل إن الحالة الألمانية وأيضاً الفرنسية والإنجليزية بإمكانها إلغاء ما يثار أحياناً في أوساط العالم الثالث بأن كرة القدم ما هي إلا أداة لإلهاء ولفت وصرف النظر عن المجتمعات المتأخرة حتى لاتلحق بركب العلم والتقدم والنجاحات الإنسانية والعملية والعلمية... ولو كان في

هذا الكلام والطرح السطحي شيء من حقائق يمكن وضعها على طاولة نقاش وبحث واستفاضة لجاء سؤال واحد ليجعله هشيماً تذروه الرياح...

هذا السؤال يقول بكل براءة إذا كانت كرة القدم أداة تخريبية للشعوب والأمم والمجتمعات فلماذا لم تستطع هذه الرياضة أن تشوه أولئك الناجحين عملياً وعلمياً كالألمان والإنجليز على سبيل المثال لا الحصر بالرغم من أن ألمانيا وبريطانيا يوليان اللعبة اهتماماً بالغاً سواء على المستوى المالي في صرف المليارات من حيث الإيرادات أو المصروفات أو على المستوى الاجتماعي والشعبي والإعلامي...؟!

تعيش كرة القدم بقوة ورفاهية ونجاحات ملموسة في بلدان صناعية متعلمة مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا لكنها لا تجد الطقوس ذاتها في ظروف مشابهة كتلك الحاصلة في أمريكا وكندا وأستراليا والصين... لتنضم الصبغة الاقتصادية للدول إلى خانة اللامنطق في حسبة كرة القدم...

فليس بالضرورة أن تكون الدولة الصناعية ذات الملاءة الاقتصادية والمالية والعلمية في توافق وانسجام مع كرة القدم...

أما قضية المكان والجغرافيا فهي أيضاً لا تختلف عن مقاييس وموازين المال والسكان... فهذه القارة الأوروبية الزرقاء والتي تعد الوجهة والواجهة في أجواء كرة القدم الصاخبة... أوروبا ليست جميعها ناجحة ومبدعة وملهمة في اللعبة... إذا كانت ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا تعد رموزاً أوروبية صنعت المجد والتاريخ فإن هناك على الطرف الآخر دولاً مثل ألبانيا وأرمينا وأستونيا ولوكسمبورغ وسويسرا ومالطا... هذه دول أوروبية تشارك في التصفيات الأوروبية وتخوض مبارياتها في لندن وباريس وبرلين لكنها متواضعة ويمكن لأي منتخب أفريقي متوسط أن يلحق بها الهزيمة...!!

البرازيل والأرجنتين في أمريكا الجنوبية... بقية دول ومنتخبات القارة تبدو أقل بكثير داخل الملعب رغم الطبيعة السكانية والبشرية والاجتماعية المتشابهة في تفاصيل الحياة والطقس والشكل والمضمون...

إنها صور سريعة وواضحة ومتلاصقة في تناقضاتها المالية والسكانية والجغرافية...

حينما تضخ الدولة ذاتها المال من أجل تحسين بنية وبيئة كرة القدم لايعني بالضرورة صناعة أندية أو منتخبات قوية ومتماسكة... وهنا تتجلى تجربة الدول الخليجية، فمستوى الصرف والبذل المالي أكبر بكثير وبمراحل من نتائج ومستويات وأداء الفرق والمنتخبات واللاعبين...

هناك أيضاَ الاهتمام الجماهيري... الهند مثلاً لايهتم شعبها أبداَ بلعبة كرة القدم والمنتخب بالطبع فيها ضعيف ومتراجع ومتواضع... في جهة أخرى من العالم هناك لبنان... الناس مهووسون ومغرمون وعاشقون لحد الجنون بكرة القدم، لكن ذلك لم يكن شفيعاً أو وسيطاً لإخراج منتخب يمكنه المنافسة في محيطه وبالحد الأدنى...

وبالعودة إلى المربع الأول من هذه الحكاية يمكننا القول بلسان مبين أن الحصول على جيل من المبدعين البارزين المتميزين وفي أي مجال يحتاج إلى تهيئة وظروف وإمكانيات وتحديات وتطلعات... وكلما تضاعف حجم الإنفاق على هذه المواهب في شتى مجالات الحياة المتنوعة أكانت علمية أو صناعية أو طبية وكذلك رياضية تدخل ضمنها كرة القدم زاد ذلك من قيمتها وإنتاجيتها وعطائها... لولا أن كرة القدم بالذات ربما تجعل من عدم توفر كل تلك المميزات سبباً مباشراً في نبوغ وإنتاج وولادة المواهب... وهنا لابد أن نتذكر ما تفعله بعض دول أفريقيا متحدية الفقر والبؤس والحاجة...

إنها أعجوبة متفردة في التعاطي مع منطق الأشياء الاعتيادية في عوالم البشر...

لامال يغلبها... لامكان يحاصرها... لاسكن ولاسكان... ما هي معاييرك يا فاتنة الزمان...؟!... سؤال واحد يحتاج إلى ألف إجابة...!!

كلماأعرفهعنالأخلاقوالالتزاماتأدينبهلكرةالقدم.

ألبيركامو... فيلسوفوروائيفرنسي

أمريكا وكرة القدم.. أيهما يكره الآخر؟

كل الذين أتيحت لهم فرصة دخول أمريكا دارسين أو سائحين أو بحثاً عن تجارة أو علاج... كلهم أو أغلبهم يخرجون بذلك الانطباع المستنسخ المتوحد المتشابه الذي يؤمن كل الإيمان بأن أمريكا ما هي إلا عالم آخر لايوازيه مكان آخر على وجه الكرة الأرضية وتحت السماوات السبع...

في أمريكا تلتقي حضارة الإنسان وعقلية البشر وأحلام الناس وأقصى الطموحات ومنتهى مايمكن أن يذهب إليه التفكير البشري المتجدد... أمريكا هي العالم الحديث.

تتشابه المدن والبلدان والدول وتختلف وتتمايز بتفاصيل واضحة المعالم، لكن أمريكا وولاياتها شيء آخر عصي على الاستيعاب وعصي على الغزل وعصي على الوصف... الناقمون عليها والكارهون لسيادتها وأمجادها ونجاحاتها بين أيديهم أعذار لها خصوصيتها التي تختلط فيها أوراق الحق بالباطل... ولأن أمريكا مختلفة الوجه والشكل والمضمون كان لزاماً عليها أن تتعاطى مع كرة القدم بطريقة مختلفة... وهذا ما فعلته بالضبط... بعض الدول لم تتواءم مع كرة القدم، لكن أمريكا فيها ألف سبب لنجاح كرة القدم... إنها تشبه كرة القدم تماماً... التناقضات والصخب والغرائب وإثارة الجدل... هناك دول كثيرة تتشابه مع أمريكا بأشياء كثيرة، لكن أمريكا مختلفة تماماً... أمريكا مثل كرة القدم...

العالم من مشرقه إلى مغربه مهووس حد الفتنة بهذه اللعبة الأعجوبة إلا أمريكا تركتها على الهامش، ففي كل بلد وكل دولة وكل مدينة وكل قارة وكل قرية تطغى كرة القدم على نظيراتها وتتفوق على أضدادها وتنتصر بالضربة القاضية والجماهيرية الطاغية على منافساتها ومزاحماتها لولا أن الأمريكان كان لهم رأي آخر وفلسفة استثنائية... حتى في عالم الهوايات والرغبات يغرد الأمريكان في سربهم المنفرد فلم تستطع كرة القدم بكل جبروتها وقوتها وشعبيتها اقتحام تلك الخصوصية التي لا شبيه لها...

للأمريكان حياتهم المختلفة وثقافتهم المختلفة وأسلوب معاشهم المختلف وفنونهم المختلفة وكذلك هواياتهم الغريبة المختلفة عن الجميع، وهذا ما جعل كرة القدم غريبة الملامح في أمريكا، ويبدو أن هذه الغرابة كانت رحمة لكرة القدم نفسها لاعذاباً لها... ولو حكمت الأقدار أن يدخل الأمريكان في هذه اللعبة كما دخلها غيرهم لربما استحوذوا عليها وسيطروا عليها واحتكموا بكل تفاصيلها كما يحتكمون على القرار السياسي والعسكري والاستراتيجي حول العالم.

حينما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية مطلع التسعينيات الميلادية من القرن الماضي بالإعداد لاحتضان وتنظيم كأس العالم عام 1994م أثارت هذه الخطوة الكثير من الجدل

داخل أمريكا حيث حشد المنتمون إلى لعبة كرة السلة وأيضاَ كرة القدم الأمريكية قواهم وضاعفوا من أدواتهم الإعلانية والدعائية في سبيل مجابهة الغزوة الجديدة التي قد تحدث أثراً وشرخاً على الهوية الرياضية الأمريكية... وانتهى كأس العالم وطارت الطيور بأرزاقها وانتزع البرازيليون لقبها، لكن النجاح الأكبر لم يكن في التنظيم أو التغطية التقنية والفنية والإعلامية للمونديال التاريخي وإنما كان بتلك القدرة الأمريكية التي لم تنحن للعاصفة وتركتها تمر دون أن تضع لها مكاناً كما كان يتأمل ويحلم أصحاب وعشاق كرة القدم بتحول جذري في الفكر والمزاج الأمريكي.

لقد فشلت كرة القدم في اختراق أمريكا وسقطت في الاختبار الأصعب حينما تواجهت مع القوة العظمى في العالم وتوارت إلى حيث مكانها وعادت توزع الحلوى والهدايا واللحظات السعيدة في أوروبا وآسيا وأفريقيا...

وهنا يبرز السؤال العريض الذي يتردد حتى على ألسنة الأمريكان أنفسهم وداخل محيطهم وأواسط أحاديثهم والقائل: لماذا لم تستطع كرة القدم أن تجد لها مكاناً رحباً ومساحة شاسعة في أحضان أمريكا التي احتضنت كل الأشياء الممكنة وصدرت كل ما جعل الناس في الكرة الأرضية تراه بعين الانبهار والإعجاب والترقب؟!

هناك احتمالات كثيرة وآراء متعددة يمكن طرحها في سياق إجابة سؤال عابر كهذا لولا أن الأقرب لرؤية واقعية متكاملة هي المسافة والجغرافيا...

القصد هنا أن كرة القدم حينما ولدت بوضعها الطبيعي في أوروبا وفي بريطانيا على وجه التحديد وانتشرت بقانونها وأسلوبها وأثرها في القارة العجوز قبل أن تتسلل إلى أفريقيا وآسيا كانت أمريكا في هذه الأثناء مشغولة هي الأخرى باختراع واكتشاف هوايات وألعاب تتسق مع طبيعة الناس وأمزجتهم... فأمريكا بعيدة جداً بحساب مسافات الزمن ومسافات الجغرافيا... ولم يكن ممكناً ومتاحاً تلك الفترة وتلك الأزمنة الطبيعة القاسية والمرهقة والمتعبة فيما يخص التواصل بين الناس من دولة إلى أخرى... والإعلام أيضاً كان في نشأته الأولى ولم يكن أبداً كوسيلة يمكن عن طريقها انتشار سلوكيات وهوايات البشر، وقد يكون أيضاً لرفض الأمريكان أنفسهم لأي ثقافة وافدة الدخول ضمن اهتماماتهم خاصة فيما يتعلق بهواياتهم الترفيهية...

تظل علاقة أمريكا مع كرة القدم حكاية فيها الكثير من الخفايا، لكن الانقسام بين المؤيدين والمعارضين لأن تكون أمريكا حاضرة بمكانة تليق بها في ساحة اللعبة الأهم أو أن تستمر مجرد ضيف شرف يقف على أطراف السجادة الحمراء لتنتصر بذلك كرة القدم وتنحاز للبسطاء والمغلوب على أمرهم... فأمريكا يمكنها وبمقدرتها امتلاك كل شيء يمشي ويجري حول العالم كله... إلا كرة القدم التي تمشي وتجري وتحكم العالم... لكن بطريقتها وليس بطريقة أمريكا...

العقلية الأمريكية مهووسة بالسرعة والتغيير والتعمق إلى أبعد مدى في مجاهيل الأمور وغرائبها... السينما الأمريكية تعطي بعداً انطباعياً يمكن القياس عليه... التجديد يولد في أمريكا... أراد الأمريكان وضع بصمتهم في كرة القدم حينما حاول الاتحاد الدولي لكرة القدم عقد شراكة حذرة مع الأمريكان لم يكن ضمن بنودها عدم فسخ العقد في أي وقت...

قدمت كرة القدم تنازلات لم تؤثر في جوهرها رغم أنها بقيت صامدة لا تتزحزح وترفض كافة أشكال ومحاولات التطوير خوفاً وهلعاً من ضرب ركائزها وثوابتها الأساسية... انحنت كرة القدم بثبات وتمتعت بمرونة ودهاء وذكاء تحسد عليه... أرادت كرة القدم دفع أمريكا إلى عوالمها ومنافساتها... كانت ترى ضرورة التحاق شعب حضاري مثل الأمريكان في ركابها...

في مونديال أمريكا تركت للأمريكان حرية ممارسة هواياتهم وهوسهم بالتجديد والتطوير دون المساس بالأسس الثابتة... أول ما فعله الأمريكان حينما حصلوا على الضوء الأخضر غيروا جلد الكرة بالكامل... يريدون أن تتدخل اليد الصناعية الأمريكية في العمق مباشرة... أيضاً تغير نمط فلسفة احتساب التسلل... كان الأمريكان يحلمون بتغييرات جذرية شاملة لكن ليست كل ما تتمناه أمريكا تدركه...

طرح الأمريكان أفكاراً كثيرة وجاهدوا بقوة لفرضها لكن إرضاء الأمريكان على حساب العالم كان مستحيلاً والموافقة عليها ليس سوى ضرب من الجنون... طلبت أمريكا تقسيم المباراة إلى أربعة أشواط بدلاً من الشوطين الاعتياديين رضوخاً عند أقدامالرؤية المالية التجارية حيث يمكن هنا اجتذاب أكبر قدر من الإعلان في فترات التوقف وما بين الأشواط الأربعة، فالأمريكان هم أسياد وأساتذة وعباقرة الإعلان منذ عشرات السنين...وبعد دراسة وافية ما بين أخصائيي التسويق والدعاية خلصوا إلى أن أفضل طريقة لزيادة الدخل الإعلاني خلال مباريات كرة القدم هو في فرض أربعة أشواط تحكم المعلنين من احتلال مساحة أوقات كافية لعرض منتجاتهم الأمر الذي رفض وبلا تردد من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم... وعرض الأمريكان أيضاً تغيير مفهوم وطريقة تنفيذ ضربة الجزاء ولتكون أشبه بهجمة انفرادية من خلال أحد اللاعبين بحارس المرمى بدلاً من الطريقة المعروفة بضربة ثابتة داخل منطقة الجزاء من أجل إضافة أجواء من الحماسة والترقب، وكذلك طالبوا بأن تسدد رمية التماس بالقدم وإلغاء رميها باليد كما هو متعارف ومعتاد... وكل هذه الاقتراحات والتعديلات لم تجد آذاناً صاغية ولم تلق أي تأييد من قبل أعضاء فيفا، فأصبحت مجرد أقاويل ذهبت مع الريح لأنها تمس صلب القانون الكروي الذي جعل من اللعبة المتسيدة على نظيراتها في العالم... وقد يتسبب أي تعديل جوهري واضح كما كان يريد الأمريكان في إضعاف الشغف بها والحماسة حولها...

اعتاد الأمريكان وتشكلت أمزجتهم ورؤيتهم من خلال كرة السلة التي تسمح في الأشواط الأربعة بإعلانات تجارية تجني من ورائها الشركات مبالغ مالية طائلة وخيالية... وكذلك كان

لطبيعة كرة السلة دور في التباعد بين كرة القدم، والأمريكان الذين تبرمجوا على مشاهدة ورؤية عشرات الأهداف في مباريات السلة الأمر الذي لا توفره أبداً مباريات كرة القدم والتي على الأغلب لاتكون ذات حصيلة تهديفية عالية وأحياناً أخرى تخرج سلبية وهو مالا يتوافق مع المزاج الأمريكي الذي لم يكن على استعداد تام لمتابعة مواجهة كروية من تسعين دقيقة دون الوصول إلى لحظة التشويق القصوى والمتمثلة في هز الشباك وتسجيل الأهداف...

من سيخسر ومن سيكسب لو بالفعل تغيرت المعادلة ودخلت أمريكا بسيادتها وأنفها الطويل في أدغال كرة القدم؟؟ هل ستكون الصورة أجمل أم أقبح... هاهي الآن تلعبها لكن دون اهتمام ورغبة واندماج... لو دخلت بثقلها وقررت أن تصبح رقماً صعباً بين حساباتها... أيبقى الحال على ما هو؟؟ أيظل القوي قوياً والضعيف ضعيفاً... أتستمر المنافسة الدولية بين البرازيل والأرجنتين من جهة وعتاولة أوروبا من جهة ثانية...

هنا يظهر جلياً رأي واحد يشير بشجاعة وثقة أن في عدم دخول أمريكا وتعلقها بكرة القدم سبباً وجيهاً في تعلق الناس بها... أمريكا اعتادت على التعاطي مع التنمية البشرية بعلمية فائقة... إذا كان منتخبها أقل من الآخرين فإن هناك مشاكل وحلولاً... قد تستغرق القضية وقتاً في البحث والدراسة والتشخيص والتحليل... حينما تفرغ وتنتهي من دراستها وتقاريرها وتضع نتائجها على الطاولة... ربما تتغير أشياء كثيرة في كرة القدم وربما يدخل ضيف غير مرحب به في التنازع على كسب حصته على الأرض...

الأكيد والأكثر واقعية أن كرة القدم لو وجدت لها مكاناً يليق بها في قلوب واهتمام الساكنين في واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس ربما لتغير الطرفان واقتحمت كرة القدم عوالم لم تعرفها من قبل.

أمريكا بكل عظمتها ونفوذها وجبروتها وقدراتها وقواها تكاد تكون غائبة تماماً عن كرة القدم... على الطرف الأخر تأتي كرة القدم دائماً كضيف ثقيل وحدثاً كريهاً في أذهان الأمريكان... لقاء أضداد يبدو أنه من مصلحة العالم فليست كل العداوات منبوذة...!!

بالنسبةلي،الحبهوالموسيقى،وبالنسبةلك،قديكونالحبهوالكتابة.
بالنسبةللآخرين،الحبهوكرةالقدم.

الموسيقيالأمريكيجيمجيمز

المتحدث الوحيد في العالم

التخصص يغزو العالم كله... وتخصص التخصص أيضاً بدأ يأخذ مكانه وطريقه... العالم يغرق في الأعماق... ذلك العمق الذي لا يصل إليه أحد... سيأتي يوم قريب وتجد طبيباً متخصصاً فقط في علاج الأصبع الصغير من القدم اليسرى... وطبيباً آخر لا عمل له سوى مداواة الآثار السلبية من النوم الطويل... هذا في الطب... في الهندسة والمحاماة والتدريس والفلك وحتى الأعمال اليدوية والتقنية والميكانيكية والكهربائية سيكون التخصص الدقيق هو سيد الموقف... حتى في مجالات الطبخ والتجميل والخياطة سيتجه العالم للتخصص... ليس هناك استثناءات من الهجمة السريعة الشرسة سوى كرة القدم...

هذه وحدها ستظل خارج المعادلة وخارج التقييم وخارج العلم وخارج التخصص وخارج ادعاءات المفهومية والمعرفة والأسرار... مشجع بسيط في قرية نائية على أطراف دولة فقيرة ربما يستوعب ويفهم الكرة الشاملة أو أهمية التنظيم الدفاعي أو فلسفة التكتيك في وسط الملعب أكثر من مدرب يقود أحد أشهر وأعرق وأبرز أندية أوروبا... فعلاً كرة القدم علم وحضارة ومعرفة ونظريات تنتقل من مجرد رؤية وفلسفة التلقين النظري إلى التطبيق... هذا لا يجعلها في منأى عن كونها بضاعة رائجة ومزجاة تباع وتشترى بثمن بخس... كرة القدم والحديث عنها يشبه الحديث عن الحب والمال... الحب ليس مخلوقاً خاصاً للضعفاء والبسطاء والمحرومين والمعذبين والهائمين على وجوههم منذ أيام مجنون ليلى... هو حق مشروع لكل نفس حية ستنتهي يوماً إلى قائمة الموتى... والمال يحكي عنه الأثرياء والفقراء باتجاه معاكس... لكن الأهم أن الجميع له حق التصويت والتعبير عن مشاعره باتجاه زينة الحياة...

كرة القدم هي من يكمل هذا المثلث الفاتن الصاخب... المدرب الذي يحصل على الملايين ويجني أرباحاً طائلة من عقد وقعه في بداية الموسم مع رئيس النادي معرض كل يوم للنقد والهجوم، وفي أحسن الأحوال يواجه عقب كل مباراة عاصفة لا تتوقف من النصائح ذات الاستعمال الاستهلاكي الرخيصة الثمن... تلك النصائح مجانية ولا يريد أصحابها على الأغلب جزاء أو شكوراً من أحد... ولو أصغى هذا المدرب القادم من العالم الآخر لبعضها لاحتاج إلى عيادة مكتظة بالأطباء والاستشاريين النفسيين حتى يفك طلاسم وأسرار تلك الأنفس التي وجهت له اللائمة أو رسمت أمامه خارطة طريق منذ أن حطت أقدامه على أرض المطار...

المشجع البسيط لديه مطالب كثيرة وكبيرة وواضحة وصريحة من مدرب فريقه الجديد... صديقه المشجع الآخر أيضاً لديه مطالب هي أيضاً واضحة وصريحة وقابلة للتنفيذ متى ما وجدت رجلاً شجاعاً عنده استعداد تام لخوض مغامرة ليست محسومة النتائج... صديق ثالث يستند إلى الماضي والتاريخ حتى يسمع المدرب الجديد ذو العينين الزرقاوين

والشعر الأشقر كلامه ويطبقه بحذافيره كما تفعل العاملات المنزليات في منطقة الخليج... من علمهم كل هذا...

من دفعهم لممارسة تلك الجرأة والقوة وامتلاك فائض من الثقة حتى يصرخوا وعلى مسامع الجميع في وجه مدرب محترف وخبير وينصحوه أن يسمع ويطبق إذا أراد أن تحمله الناس على الأكتاف في نهاية الموسم ويسجل اسمه بمداد من ذهب في قائمة الأبطال الذين صعدوا وهاماتهم مرفوعة إلى المنصة لمعانقة المجد... من أعطاهم الحق كل الحق بالفتوى... من منحهم الحرية الكاملة ليقولوا ما يقال ومالا يمكن أن يقال...إنها كرة القدم... وحدها التي قالت للناس أجمعين: هيت لكم... قالت للناس: أنا منكم وإليكم... قالت للناس: وبدون مقدمات وبدون اشتراطات إنني لست سوى جلد منفوخ تركله أقدامكم وتحترمه عقولكم وتعشقه قلوبكم... فلا بأس أن أكون حديثاً رومانسياً دائماً على ألسنتكم... جميعكم بلا استثناء...!!

لا يحق لأحد أي كان هذا الأحد أن يمنعك من الحديث عن كرة القدم... تسكت أحياناً عن الكلام في مسائل دينية وفقهية وعقائدية لأن الدين يحتاج للعلم والبحث والمعرفة... تلتزم الصمت أحياناً في قضايا السياسة والاجتماع وعلم الفلك... هذه أشياء تتطلب أن تكون ملماً بالحد الأدنى منها حتى لا تصبح أضحوكة ومجرد صوت يردد ما يقوله الآخرون... كرة القدم عالم فسيح... غرد كيف تشاء... قل ما تشاء وكيف تشاء ومتى ما تشاء وأين تشاء... ومعك كل الحق...

يضعون خطوطاً حمراء في كل مناحي الحياة ومعاملاتهم الإنسانية والاجتماعية والعلمية إلا كرة القدم... هذه لها قانون اسمه الجاذبية والفضاء المفتوح... يقول ستافوردهيجينونام رئيس نادي برادفورد الإنجليزي الأسبق: "كرة القدم هي الأوبرا التي يعزفها البشر جميعاً"... كلماته هذه اختصرت الحكاية كاملة... لا يمكن لأي شيء أن يكون أغنية يعزفها البشر جميعاً... ليس في كلامه مبالغة... فيه بلاغة... من الممكن أن تكون جاهلاً وخاوياً وشخصاً ثانوياً وتأثيرك في محيطك ومجتمعك لا يتعدى ما تفعله الفراشات الصغيرة في الغابات الواسعة... من الممكن أن تكون رقماً هامشياً فشلت كل محاولاتك المتكررة بالبحث عن مكان تجد فيه نفسك ولو لمرة واحدة مع أولئك الذين يقفون في طابور الناجحين... من الممكن أن تكون شيئاً لا يستحق الاهتمام ولا يستحق الذكر... أي مجرد إنسان... بلاطموح ولا رؤية... ومع كل هذا لك في عالم كرة القدم مكانخالٍ وشاغر إذا كان فقط لديك رغبة صادقة بأن تصبح اللعبة الساحرة جزءاً بسيطاً من حياتك واهتماماتك...

في هذه الحالة لك حق التصويت وحق التشجيع وحق المتابعة وحق الحب وحق أن تقول رأيك بكل شجاعة وحرية... لك حق الفتوى... لا يهم من تكون ومن أين أتيت ولا يهم اسمك وعنوانك... لا يهم لونك وعرقك... لا يهم مستوى تعليمك...

في قلب العاصمة البريطانية لندن تعيش حديقة هايد بارك منذ عشرات السنين... لم تشتهر بأشجارها وأزهارها وبحيرتها الكبيرة ولا حتى بنوافيرها الساحرة... هايد بارك اشتهرت وعرفت وأصبحت حديث العالم فقط بزاوية المتحدثين... ركن يجتمع فيه الناس كل يوم أحد ليقولوا ما يريدون في أي قضية وبحرية تامة ودون رقابة أو محاسبة أو سؤال... هذا الجزء من العالم يشبه طبيعة كرة القدم والحديث عنها وتناولها وسيرتها ومسيرتها... الفرق فقط في المساحة والمسافة... كرة القدم لاتحتاج وقتاً محدداً ولاتحتاج مكاناً معيناً ولاتحتاج إلى تصريح بالحرية والأضواء الخضراء...

تستطيع في أي وقت وأي مكان أن تقول ما تريد عنها... هي باختصار شديد هايد بارك مفتوح على مصراعيه في مشارق الأرض ومغاربها... قل عنها وفيها ما يحلو لك ولا تهتم لغضب الغاضبين الناقمين... تكلم عنها... غازلها... تذكر سيئاتها ومحاسنها... تذكر أنك لست وحدك... تذكر أن كرة القدم ملك للجميع... فأهلاً ومرحباً بأهل الفتوى الذين يقولون مالا يعلمون... الذين يتكلمون عن فاتنة... فاتنة معشوقة ولم يعرف بعد أكثر عشاقاً حباً وهياماً وجنوناً منها وبها وإليها...!!

كرة القدم هيآخر الطقوس الملهمة المتبقية في عصرنا هذا.

بيير باولو باسوليني... شاعر وكاتب ومخرج إيطالي راحل

ليست مهنة بل شغف

تقودك قناعاتك وإيمانك وفلسفتك الخاصة ورؤيتك في هذه الدنيا وكيف لها أن تكون إلى الانتماء دون تخطيط أو ترتيب إلى حزب أو جماعة أو منظمة أو مشروع إنساني أو عقائدي أو سياسي أو اجتماعي... فتصبح قضيتك التي تدافع عنها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً...

تقاتل قتال الأبطال الأشاوس دفاعاً عن فكرة ربما تكتشف بعد سنوات من الأحلام الكاذبة بأنك لم تلاحق سوى سراب لم يكن يستحق أبداً كل ذلك الاهتمام والمناصرة والتأييد... هذا في كل مناحي الحياة... إلا كرة القدم...

الشيوعيون واليساريون والمتطرفون واليمينيون والماركسيون والنازيون... كلهم عن بكرة أبيهم يمكن لهم العودة واتخاذ طريق مختلف واتجاه معاكس... مئات وعشرات المنتمين لهذه الأحزاب السياسية والاجتماعية والفلسفية تخلوا عن أفكارهم ومعتقداتهم التي ربما غيبوا من أجل نصرتها سنوات في غياهب الجب وخلف قضبان المعتقلات والسجون الموحشة...

تركوا أهاليهم وأحبابهم وأبناءهم وفقدوا رفاق النضال والسلاح والتحدي ثم عادوا كما يعود مسافر طال به الغياب... عرفوا أن قضيتهم مجرد فكرة تتصارع مع الواقع ومع تفاصيل كثيرة فتركوها إلى ورثة يلتهون بها إلى حين... كرة القدم والتعاطي معها أيضاً مجرد فكرة... الفرق يكمن في أن طريقها مسار واحد... لاتفكر في الإياب عندما تعقد النية في رحلة الذهاب... لن تعود وليس أمامك سوى إكمال المسيرة حتى النهاية...

يقول الطباخ البريطاني الشهير جوردونرامزي: "مازلت أحب كرة القدم وأعتقد أن الطبخ مثل كرة القدم... هي ليست مهنة بل شغف"...

أمضى ليفربول أعرق الأندية الحمراء حول العالم أعواماً مديدة دون الفوز بأحد الألقاب البطولية... هذا لم يكن دافعاً أو مبرراً أو سبباً أن تبدو مدرجات ملعبه في المدينة الشمالية الإنجليزية خاوية على عروشها... استمروا بالدعم والتشجيع والمؤازرة... كان شعارهم ولايزال: "لن تسير وحيداً بعد اليوم"...

طاف هذا الشعار الرومانسي الذي يلامس القلب بدون مقدمات أرجاء الكون... كلمات قليلة وبسيطة ودارجة لكنها تعبر بصورة مباشرة عن حكاية المشجع أي مشجع بفريقه وفي أي مكان... الذي لايعرف أبعاد الارتباط البشري والإنساني بكرة القدم يستغرب بشدة كيف

يستمر الناس بالتصفيق ومساندة أحد عشر لاعباً لايجرون سوى الخيبات والخسائر... إنهم لاعبون فاشلون لايهدون ولا يمنحون سوى الإحباط والأحزان...

لمَ لا تبحث عن غيرهم... لمَ لاتنضم في كل عام إلى أنصار الفريق المرشح للصعود إلى القمة... خاصة والمجال مفتوح بالتنقل بين الفرق بسهولة... على طريقة نقل فؤادك حيث شئت من الهوى... على المجمل هذا كلام يثير الضحك والسخرية والاستهزاء... الكرويون العاشقون الهائمون يعرفون أن علاقتهم بأنديتهم المفضلة علاقة جسد وروح أي محاولة لتغييرها بأي طريقة ستصدم بجدار المستحيل... هل تستطيع تغيير فصيلة دمك أو بصمة يدك أو يوم ميلادك... هل تستطيع استبدال هويتك وإلغاء تاريخك وماضيك... هل بمقدرتك التنازل عن طبعك وطباعك وهواك وأهوائك؟ إنها أسئلة المستحيل ليس إلا...

العلاقة مع كرة القدم تترك أثراً وموقعاً بعكس أي علاقة يرتبط بها الإنسان مع الأشياء الحية والجامدة... حتى علاقة اللاعبين مع كرة القدم يمكن التوقف عندها طويلاً فهم غير متجانسين فكرياً وجسدياً وحتى نفسياً بعكس الألعاب الأخرى كالبلياردو أو الجولف أو السلة.

كرة القدم والارتباط معها إنما هو كالمنهجية... والمناهج الإنسانية كثيرة... هناك مناهج سياسية وعسكرية وعقيدة أخلاقية... كلها راسخة في ذاتها ومتوغلة في محيطها وأجوائها وطقوسها... هي أيضاً كرة القدم منهجية تملك حق الاستحواذ الكامل والسيطرة المطلقة فلا انفكاك أو انعتاق منها لابصعوبةولابسهولة... هي علاقة المشجع بفريق ومجموعة اختارته جوارحه ومشاعره فصار دون سابق إنذار أحد أولئك الذين يوصمون بأنصاره ومناصريه...

إنها علاقة العشق المستحيل وعلاقة الحب الخالدة وعلاقة لايرى لها نهاية عبر الأفق القريب... إنها كيمياء بشرية تتغلب على التحليل والدراسة والتنظير، فخبراء وأساتذة علم النفس وعلم الاجتماع غلبهم وأضناهم الحب وتفسيره وأسبابه منذ آلاف السنين... وحري بكرة القدم ومحبيها الدخول في هذه المعادلة المعقدة ذات الخيوط المتشابكة التي تجعل من ارتباط المشجع بفريقه المفضل مثالاً حياً وفاعلاً ونموذجاً لماهية العلاقة الإنسانية بوجهها العام مع الأشياء المعاشة من حوله...

الناس بطبائعها العاطفية تتوقف صلاتها حتى مع الهوامش لدرجة أن الغرابة تكون غائبة حينما يتعلق الرجل أو المرأة بصغائر الأمور كالأحذية القديمة مثلاً لدرجة التمسك بها في أدراجها سنوات طوال، وهذا مؤشر يظهر في أقصى الزاوية يمكن عن طريقه رؤية شيء من حقيقة علاقة الإنسان بهذا الجلد المنفوخ المدعو كرة القدم...

إن اللعبة التي صمد قانونها أمام كل المتغيرات من حولها وظلت ساحة خضراء تحيطها المدرجات من كافة الجوانب لايمكن لها بأي حال من الأحوال أن تتنازل عن قامتها

ومقاماتها في قواعد العشق الراسخة كالجبال الرواسي...

إنها أحد أوجه متعددة في المرايا المنتشرة حول كرة دائرية لم تتزعزع عن مكانتها منذ ولادتها بالشكل الحديث قبل أكثر من مائة عام تقريباً... إن البحث وراء أسرار تلك العلاقات المتجسدة والمتوثقة عمقاً والمرتبطة فتنة لايمكن الخلاص منها مع هذه اللعبة التي من الظلم لها ولتاريخها إبقاؤها في حيز الألعاب الأخرى دون النظر إليها كقضية إنسانية فاقت واقعها وانتقلت إلى فضاء أرحب حيث الصناعة والاقتصاد والمال والشهرة والعلم والتكنولوجيا عوضاً عن دخولها بين حين وآخر في عمق السياسة وتفاصيلها...

كرة القدم لا يمكن إلا أن تقول عنها وبكل ثقة إنها الرابط السحري الخفي الذي يربط الفرد بالجميع، والجميع بالفرد في علاقة متشابكة دون التزام أو تكليف وتكلف...

إن كرة القدم في كلمة أخيرة لايمكنها إلا أن تكون معشوقة تشبه عبلة وبثينة وليلى وجولييت اللاتي أشبعن صفحات التاريخ الأدبي العربي والعالمي بحكايات حب لاتنقطع... إنها قصة العشق الأكثر تجذراً وبقاءً ورسوخاً بين الأرض والسماء...

من يقول إن هؤلاء دفع و المشاهدة 22 من المرتزقة يركلون الكرة وكأنه يقول إن آلة الكمان مجرد خشبة وأوتار وإن رواية هاملت مجرد حبر علي ورق.

جونبر يستلي... روائي ومؤلف مسرحي إنجليزي

انفعل.. اغضب..تناقض.. ولاتخجل

يصلح الغضب والانفعال والتوتر السريع مقياساً حقيقياً وواقعياً لمعرفة قدرة الإنسان على إدارة نفسه إذا صح التعبير... حينما تغضب وتنفعل ثم تراجع أوراقك وحساباتك ومواقفك ربما تصاب عاجلاً أو آجلاً بموجة عنيفة من ندامة وملامة فات الأوان على تدارك نتائجها وآثارها، فالزمن الماشي بخطى سريعة أو بطيئة لايعود أبداً...

وفي خضم صراع الإنسان والحياة تتفلت الأعصاب من جراء مواقف وأحداث ومفاجآت لم تكن بالحسبان ثم يدخل ذاك الإنسان المغلوب على أمره وطبيعته وتصرفاته في غياهب التبرير على ما اقترفته جوارحه ولسانه وشفتيه وعينيه... يحاول تبرير ما حدث وما جرى إن لم يكن أمام الناس، فعلى أقل تقدير أمام نفسه اللوامة التي تحاصره وتخنقه بفعلته التي لم يكن لها أي داعٍ...

وقد يستمر الضمير في طريق التأنيب والضغط ردحاً من وقت لاينقطع... يحدث هذا في يوميات الناس وسط زحام خطوات ومسارات الدنيا وغرائبها وحكاياتها وتشعباتها...

وعلى الجهة المقابلة تأخذ كرة القدم بأجوائها ومشاحناتها استثناء خاصاً حصلت عليه بطرق قانونية ومشروعة... يهدر المهاجم فرصة محققة أمام المرمى فيخرج ذاك المشجع عن طوره وعن طبيعته سواء في المدرج أو من وراء الشاشة في مكان قصي من الملعب بآلاف الكيلومترات... يسجل المهاجم نفسه هدفاً في أول المباراة أو آخرها أو منتصفها فيقفز المشجع نفسه إلى أعلى نقطة تساعده فيها قواه وقدراته ولياقته في المسافة الفاصلة بين الأرض والفضاء...

حينما يغضب المشجع لا يلوم نفسه لأنه يعرف بأنه يفعل ذلك نتيجة ترسبات وطبائع إنسانية انفردت بها كرة القدم فلا لوم أو ملامة...

حينما يفرح المشجع فلا مجال لكبح نشوة فرح ولدت من عمق الانتظار بحثاً عن هدف يشفي غليل لهفته لشباك تهتز فيعبر بشيء يشبه الجنون والخروج عن المعتاد والمألوف والطبيعة معتمداً ومطمئناً على أن ما فعله إنما هو أمرلايمكن للأعين أن تلومه عليه...

هو بذلك لايلوم نفسه... يعتقد أنه تصرف بطرائق علاقتها بالطبيعة على مايرام... أصلاً وأساساً لا يدخله ذلك الإحساس المزعج بملامة النفس عن أي شيء فرحاً أو ترحاً... كونه يعتقد ويجزم ويؤمن كل الإيمان أن تصرفه هذا نابع بشكل إنساني طبيعي لايمكن أن يتوقف الآخرون عنده...

في المجالس والمكاتب والمدارس والحدائق والمقاهي ترتب مشاعرك وأحاسيسك وترتب كلامك حفاظاً على بروتوكولات يحاول الناس المحافظة عليها ولو بحدودها الدنيا إلا في كرة القدم... فالساحة مفتوحة وكأنك وحدك في صحراء شاسعة على مداد النظر ولا أحد يراقبك...

في المدرج وفي المجلس وفي المقهى خلف الشاشة... اغضب... وانفعل... ولا تحتج التبرير أو التأنيب... أو الخجل... لأنك تشاهد كرة القدم... إنها عملية تعطيك استراحة سريعة لتفعل ما يمليه عليك هواك وهوسك وجنونك الخفي بهذه الكرة... ودون خجل!!

رحلتيالأولىنحوالعالمالحقيقيكانتعبراكتشافكرةالقدم.

جابرييلجارسياماركيز... روائيكولومبي

جلد منفوخ يهزم الأمم المتحدة

بيت من زجاج يحكم العالم... أقوى مبنى على وجه الأرض... هكذا يخيل إلينا حينما تتصدر قراراته نشرات الأخبار على مدار العام... بيده اليمنى قاذفات الحرب وفي شماله حمامة سلام...

تحت ذريعة قصف أسلحة الدمار الشامل اتخذ جورج بوش الابن قراراً بغزو العراق... بعيداً عن تفاصيل وتعقيدات السياسة ومداخلها ومخارجها وتضارب مصالح القوى، وبعيداً عن كونه غيّر وجه منطقة الشرق الأوسط برمته وبعيداً عن شرعيته وجدواه وفائدته وتأييده أو مناهضته، فإنه اتخذ رغم أهواله وجسامته وفظاعته وزلزلته رغم أنف ذلك المبنى النيويوركي الذي يدعي قوته وجبروته ونفوذه... وصلت أمريكا بعدتها وعتادها إلى تخوم بغداد وأزاحت ديكتاتوراً مثل صدام حسين، وأزاحت معه دولة بكل مؤسساتها ومقدراتها ومكتسباتها الاجتماعية والعلمية والمادية والبشرية والأثرية والتاريخية، وتركته يغرق في جحيم طائفي لافكاك منه... إضافة إلى تحطيم قرابة جيل بأكمله عن حياة طبيعية تشبه حياة البشر الأسوياء البعيدين عن ويلات الحروب ومآسيها ومخلفاتها التي لاتعرف المكاسب والمرابح وإن كان الثمن المدفوع باهظاً...

دخل الأمريكيون بتأييد بريطاني لخوض غمار حرب غاشمة اختلطت فيها أوراق الحق والباطل ليكتشف العالم كله تباعاً وعاماً بعد عام ويوماً بعد يوم أن تلك الحرب لم تكن سوى قرار انفعالي كرد متهور على ما فعله تنظيم القاعدة في أحداث سبتمبر المأساوية...

أعلن بوش الحرب وخاضها وأشعلها بينما كانت الأمم المتحدة لا تملك أي قرار نافذ يستحق فرض نفسه على الأرض...

بات البيت الزجاجي مصدراً لحساب أرقام الضحايا والجرحى والمشردين وكأنه جمعية حقوقية تنشط وتتحرك وسط الركام...

يموت ملايين البشر ويهجرون ويحاصرون ويعذبون ويعتقلون بلاذنب اقترفته أيديهم وتقف الأمم المتحدة بكل قوتها ونفوذها وقراراتها كالمتفرج على هطول المطر...

سوريا والعراق ومحطات كثيرة تُظهر وهن وضعف وعجز الأمم المتحدة... وإلا فإن هذه الدنيا مكتظة بأحداث جسام أخذت فيها العدالة إجازة مفتوحة... إجازة ذهبت فيها كما تحدث المتحدثون إلى شاطئ قريب تستعيد فيه ذكرياتها الطفولية لكنها لم تعد منذ ذلك الحين... العالم كله ضج يبحث عن هذه العدالة المسكونة بالرحمة والساكنة في مدينة تدعى نيويورك تعد أغلى مكان يتحرك فيه البشر على وجه الأرض... مكان باهظ الثمن

يحاول ما استطاع سبيلاً حماية المستضعفين والذين تقطعت بهم السبل لكنه غالباً لايستطيع... أمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى على عجز هذه المنظمة ذات العضلات المفتولة وذات الأكمام الطويلة وذات الأيدي الممتدة على خارطة مرسومة بمزاج لم يعرف هواه حتى الآن...

في وجهة أخرى من الكرة الأرضية هناك مبنى آخر يحيط به الرخام الرمادي وتعتليه كلمة من أربعة حروف (FIFA) مصنوعة من الاستيل السميك وسط مدينة زيورخ السويسرية وداخله تدار كرة القدم حول العالم كله... وضع قانوناً واضحاً وصارماً وحازماً لا أحد يحيد عنه إلا وكانت العقوبات بانتظاره ولايحتاج سوى رسالة بالإيميل أو الفاكس لترضخ له أي قوة كروية على وجه الأرض... الاتحاد الدولي لكرة القدم يستمد كبرياءه وخيلاءه من أهمية كرة القدم ذاتها في تركيبتها الرياضية ثانياً وطبيعتها بين تفاصيل حياة الدول قبل كل شيء...

تحكي تقارير كثيرة عن فساد يضرب هذه المنظومة الإدارية التي وجدت نفسها تحكم لعبة تغلغلت في تقاسيم ويوميات وأمزجة وهوايات الناس حول العالم، ومع ذلك حافظت باقتدار على مكانتها وأهميتها وقيمتها وسلطتها القابضة على مقاليد الأمور بأيدٍ فولاذية حتى وإن ارتدت قفازات ناعمة...

تفشل كافة المنظمات والهيئات والاتحادات الإقليمية والدولية في السيطرة على أمورها وقراراتها كاملة حتى وإن كان وراءها دول ذات إمكانيات وقدرات اقتصادية وسياسية وجغرافية وتاريخية وحضارية، لكن الحال مختلف تماماً حينما توضع في موضع المقارنة والمفارقة مع فيفا... حتى أوبك التي تدير أهم سلعة حيوية على مستوى العالم تبدو فيها التباينات والخلافات والاختلافات والصدامات أحياناً كثيرة بلا حلول ناجعة، فلم تستطع أن تستمد قوتها من النفط الذي يعد الدافع الكبير لحركة تشابك الهوية الاقتصادية بين قارات الدنيا مجتمعة بينما الحال والأحوال مختلفة تماماً داخل (فيفا) وسراديبها التي تتحدى العصيان والتمرد والمقاطعة...

هذه هي البرازيل بتاريخها الكروي الضخم وإرثها العميق وسجلها ووزنها وقيمتها في سجل البطولات والنجوم والمدربين... هذه البرازيل بكل إمكانياتها الإبداعية وأسطولها من اللاعبين المهرة لاتستطيع الوقوف في وجه قرارات وسلطة الاتحاد الدولي لكرة القدم... بل إن البرازيل تقف بالمكانة ذاتها والحجم ذاته والقيمة ذاتها مع أي دولة أخرى يعتركها الفقر والحاجة وقلة الإمكانيات وضيق ذات اليد.. الجميع أمام فيفا كالرؤوس المتساوية... وهذا بالطبع لم يأتِ من وراء القانون التنظيمي أو الدستور الصارم للفيفا وإنما العملية تعود أولاً وأخيراً إلى طبيعة كرة القدم ذاتها... السر يكمن في كرة القدم وليس في أهمية المنظومة القابعة في سويسرا... البرازيل بتاريخها الكروي العريق لاتختلف في المنظومة الكروية عن

أي منتخب آخر حتى وإن كان يمثل بلداً فقيراًومعدوماً... فيفا لا يهمها تأييد الناس المباشر لأنها ببساطة تستمد نفوذها وقوتها من تعلق الناس بكرة القدم.

تحتاج الأمم المتحدة إلى إجراءات في كثير من الأحيان تصطدم بتعقيدات دبلوماسية وبروتوكولية دولية عندما تريد فرض قرار حتى لو كان متفقاً عليه، وفي أحيان أخرى تعجز للأسباب ذاتها أو غيرها في أن تجد كلمتها مكاناً على أرض الواقع، بينما لا يخبئ التاريخ بين سجلاته ودفاتره وملفاته العتيقة قراراً أصدره اتحاد كرة القدم ولم ينفذ، ومن يعصِ لفيفا أمراً أو حتى يقع في مخالفة ولا يستجيب لقراراتها يجد العقوبة العابرة للقارات بانتظاره... فيفا نجحت وبجدارة أن تعزل القرارات الحكومية عن التدخل في اللعبة فتركت التوجه بيد اتحاد الكرة، وأي دولة تتدخل يكون التجميد الدولي لها بالمرصاد والأمثلة في هذا السياق كثيرة والقائمة طويلة...

تقترن كل الاتحادات القارية كالأوروبية والأفريقية والآسيوية مباشرة بالفيفا وتمشي وفقاً لأنظمتها ونهجها ودستورها ولا تحيد قيد أنملة فترتبط بها ارتباط اليد بالمعصم كما يقول العرب في أمثلتهم، فلا مجال لأي اتحاد محلي أن يغرد خارج السرب، فالعملية الكروية كالسلاسل المتشابكة التي ينتهي وثاقها داخل أروقة إمبراطورية فيفا...

يحترم الناس فيفا لأنهم يرون العدل يتحقق... لا يوجد قوي وضعيف في كرة القدم فكل متنافسين لهما الحق داخل الملعب والأسباب كثيرة أبرزها وضوح القرارات... السر ليس في فيفا ولا قوتها ولا في الأمم المتحدة ولا في ضعفها... السر هو كرة القدم... فيفا قوتها بسبب كرة القدم وليس العكس.

في الوهلة الأولى يظن الظانون أن الأمم المتحدة أشرس وأقوى وأفتك وأكثر سلطة من فيفا... هذا نظرياً قد يكون صحيحاً... عندما تعود لتبسيط المسألة وتفكيك أسرارها المكشوفة ووضع الأمور في نصابها... والاعتماد على كشف حساب واضح المعالم والأرقام فإن فيفا سيظهر كالملك المتوج أمام الأمم المتحدة التي تقيدها الأغلال من يديها وقدميها...

فعلاً ذاك بيت من زجاج ماذا عساه أن يفعل أمام جبروت طاغٍ يعيش في كل مكان ويملك المال ويملك الحظوة ويملك الحضور ويملك قبل كل ذلك الحب الجارف...

جلد منفوخ يرمي بشرر وحمم ملتهبة فماذا يملك بيت ضعيف يظهر أحياناً أوهن من بيت العنكبوت...

بيت من زجاج ومن كان بيته من زجاج لايرمي الناس بالحجارة ولاحتى بكرة تتقاذفها أقدام الصبية!!.

في حياته قد يقدم الرجل على تغيير زوجته أو توجهاته السياسية...لكن لا يستطيع تبديل فريقه المفضل في كرة القدم.

إدواردو جاليانو...صحافي وكاتب من لأوروجواي

الاستغلال في الدوري.. السر في الكأس

مهما تشابهت كرة القدم مع سواها فإن مباريات الكؤوس وخروج المغلوب تصبغ عليها ساحرية وجاذبية تمكنها من استنهاض عناية وحفاوة حتى من لاتكون المباريات في نطاق ومحيط اهتماماته اليومية أو الأسبوعية أو الموسمية... بمعنى أكثر وصولاً إلى النقطة الفاصلة نقول: إن مباراة حاسمة ليس فيها مجال للتعويض تمتلك قدرة مضاعفة على مبالاة واهتمام وجمع فصيل واسع من عشاق ومتابعي الكرة أو حتى من أولئك الذين يرتبطون معها بعلاقة سطحية...

خاصية الخوف والترقب والمفاجأة هي التي تجعل من مباريات الكوؤس ذات أجواء حماسية لاتقاوم... في أجواء كرة القدم يمكن لفريق أو منتخب صغير ومتواضع أن يزيح خصمه مهما كانت قوته وقدراته وتاريخه... الخوف لا يمثل الطبيعة... الفرق الكبيرة تخاف من المجهول ولهذا تخوض مباريات الكؤوس عادة وفي أذهانها تسيطر فكرة المفاجأة المرعبة التي يخشاها دائماً الكبار أن تفيق من سباتها أمامهم...

الأمثلة في عالم كرة القدم لايمكن إحصاؤها أو استعراضها بسهولة... كل فريق أو منتخب عريق وقوي ومتحكم أخذ نصيبه منلعبومخاطرمباراةكأسغادرة...لا ينجو أحد طوال الطريق... إنه مشوار محفوف بالمخاطر والعقبات والمطبات الصناعية... لمباريات الكؤوس ميزة اختصار فلسفة كرة القدم بكل أبعادها النفسية والتنافسية... أمامك تسعون دقيقة قد تهاجم فيها بكل عدتك وعتادك وأسلحتك وبضربة خاطفة واحدة ويتيمة يتمكن خصمك من إلحاق الهزيمة وإزاحتك عن المنافسة... وبهذا نالت مباريات الكؤوس ملذاتها من خلال الغرابة وتحدي المخاوف والمفاجآت... فالكبير ليس دائماً كبيراً... أحياناً يسقطه الصغار وبسهولة... هذا يحدث في الكوؤس فقط...

في الدوري ومسابقاتها على مختلف القارات تكمن المتعة الكروية... الدوري طويل وشاق ويحتاج إلى عمل منظم وفرق لديها وفر من البدائل فلا تعتصرها رياح الإصابات ولا تنل من عزيمتها الإيقافات... والصراع والسباق والتنافس محسوم مقدماً بين الأقوياء الأشداء... والأندية تصب اهتماماتها وتضع أثقالها في منافسات الدوري كونها البطولة المتعارف عليها في الفصل بين المتخاصمين على القمم، فالكأس عادة قد يحتاج إلى الفوز في أربع أو خمس مواجهات يكون بعضها أو أحياناً مجملها سهلة إذا استثنينا الكلام عن كامل المفاجأة المزعج... أما الدوري فهو مشوار حمل يمتد إلى أشهر طوال فيه من التعثرات والتقلبات ما يضني ويرهق ويتعب...

يقال في بداية الدوري إن المستوى لايهم بقدر الحصول على النقاط، وفي منتصف المشوار يبرز قول آخر مفاده إن جمع نقاط هو الأهم من أجل مرحلة الحصاد الأخيرة... وفي النهاية

يتحدث الجميع وبلغة واحدة أن النقاط هي الأهم حتى في نهاية الدوري لتصبح معادلة جمع النقاط، أو المستوى المبهر الأخاذ تدور في الدائرة نفسها وفي كل مكان.

الدوري يمنح شهادة حية للترابط الدائم بين كرة القدم وعشاقها، فهو الحلم القائم مع إطلالة كل موسم وانطلاقة أو صافرة بين أصداء وآفاق الملاعب... أما مباريات الكأس فهي السر الكامن ذات السحر الجاذب لكرة القدم في هويتها بشكل عام...

الدوري يملك الإمتاع والقوة والتحدي والنفوذ... والكأس هو النموذج الذي يمكن وبكل ثقة تقديمه على عبقرية وديمقراطية هذه اللعبة التي تدعو للحرية وتكره القيود والأغلال...!!

يقولون إن كرة القدم مجرد لعبة...هذا هراء...كرة القدم علم وفن وحرب وباليهود راما و رعبو فرح.

توماً وتلي... صحافي بريطاني

مارادونا وميسي.. ليت الفروق واضحة

الكرويون مصابون حدّ التخمة بتلك المقارنات الثنائية... بين جيل وجيل... بين مباراة وأخرى... وبين لاعب وشبيهه... بإمكانك الجلوس بهدوء لعقد مقارنة تفضي إلى نتيجة عندما تضع مدينتين أمام خيالك وعقلك وقلبك وعينيك...

عاصمة الضباب لندن وعاصمة الأضواء والأنوار والعطور باريس يمكن التمييز بينهما واختيار الأفضل... بالتأكيد إن العملية ستخضع في نهاية المطاف إلى الأمزجة المتفاوتة بين البشر، لكن الرؤية واضحة تماماً فلا خوف ولا اختلاف على العوامل الأساسية... ما يقال عن المقارنة بين المدن يقال بالمقياس نفسه والنظرة الشمولية نفسها عن أشياء كثيرة حولنا لديها متسع من المزايا والأسس التي يستند عليها لعقد مثل تلك المقارنات... كل شيء قابل لحفلات المقارنات إلا لاعبي كرة القدم... قد تكون هذه من الأسباب الخفية التي نراها في أسطورية كرة القدم على مدار التاريخ...

منذ أن اعترف العالم بصورة رسمية بوصول ميسي إلى قائمة الأفذاذ راحت الأصوات ما اعتلى منها وما انخفض بوضعه وجهاً لوجه مع مارادونا لتشتعل في تلك اللحظة حرب باردة ناعمة لاتبدو أي بوادر لإخمادها ووضع أوزارها وغسل آثارها عن الألسنة والأذهان، لدرجة أن المؤيدين المارادونيين يتمسكون بورقة إخفاق ميسي عن تحقيق لقب المونديال كدليل جوهري في فشله الذريع بالوصول إلى إمكانية إزاحة مارادونا عن عرش أعظم من داعب هذه الكرة عبر الأزمنة... في الوقت الذي كان فيه كلا الطرفين أحياناً يلجآن إلى إظهار أدلة تؤيد وجهة نظر أي منهما بشكل يُعتَقد أنه قاطع، لأنه لو كان الدليل الذي يقدمه كل طرف وافياً وكافياً لما ظهرت المقارنة في كل وقت، فأنصار مارادونا يلوحون بورقة قيادته لنابولي من القاع حتى الوصول إلى القمة، وكذلك قيادته منتخب بلاده لانتزاع كأس العالم، والتأكيد على أن مارادونا هذا هو البطل الوحيد والبقية مجرد أدوات مساعدة، فيما يراهن عشاق ميسي على ورقة الأرقام القياسية الخارقة التي يبدو من الصعب جداً تكرارها والاقتراب منها...

ليس هناك نقاط اتفاق يمكن الحديث عنها... الحديث الذي يدور بشراسة ولن ينتهي هو الفرق رغم أن الفروقات ستظل مجرد ارتباطات مزاجية تتحكم بها ذائقة الإنسان التي جُبلت على التعددية كأحد القواعد الراسخة في حياة البشر.

يحسب لمارادونا في صراع الأفضلية أمام ميسي أنه صاحب التأسيس والتنشئة والنقلة الأولى في العلاقة الوثيقة بين العقل والجسد داخل الملعب... قبل مارادونا كان هناك مئات اللاعبين الذين يبدون كنسخ مستنسخة بعضها من بعض، حتى وصل مارادونا وطوّر

مفهوم لاعب خط الوسط الذي تكون أبرز صفاته فلسفة السيطرة الميدانية والمهارة الفردية وتسجيل الأهداف...

قبل مارادونا كان لاعب الوسط الهدّاف مقتصراً على أصحاب الأقدام القوية... مارادونا هو أول لاعب في تاريخ كرة القدم ينتهج فكرة الاختراق العمودي باتجاه المرمى في تجاهل تام لخطوط العرض... أيضاً ألغى مارادونا ولأول مرة ذلك التجييش الهائل خلف قاعدة أن كرة القدم لعبة جماعية... بالفعل هي لعبة جماعية لكنها أولاً وأخيراً تعتمد على الفرد شريطة أن يكون هذا الفرد صانعاً للفرق بين نظرائه وأضداده... في وجه آخر ربما أثبت مارادونا أن كرة القدم فعلاً لعبة جماعية ولاتعتمد أبداً على الاسم أو الفرد... لأن مارادونا ما كان إلا مجرد استثناء في هذه القاعدة...!!

الذاكرة الكروية لاتتسع لأسماء معروفة وقوية في نابولي عام 1988م أو المنتخب الأرجنتيني عام 1986م... وفي نابولي وفي الأرجنتين لم يكن مع مارادونا أي لاعب يمتاز بقدرة المساندة على صناعة الإنجاز، وهذا وإن كان في مجمله يُحسب لمارادونا كونه صنع المستحيل وارتقى بأسماء عادية إلى هامات المجد فإنه للأمانة أيضاً يحسب لمصلحته، بمعنى أن عدم وجود نجوم بارزة أفسح المجال وترك الساحة واسعة لمارادونا نفسه ليفعل ما يشاء، وكأنه المتحدث الوحيد في حفلة خطابات قبل خوض انتخابات برلمانية فيها بقية المرشحين مصابون بالخرس...!!

استطاع مارادونا أن يؤكد نظرية النشاز الذي يبصم على القاعدة فكرة القدم كانت ولا زالت وستظل لعبة جماعية، ولم يسبق لأحد ترسيخ هذه النظرية وهذه القاعدة أكثر من مارادونا... وحده الذي أكد العكس.

إن تجربة نابولي وقوة المنافسين في الدوري الإيطالي قالت للعالم أجمع إن النظرة السائدة عن كرة القدم كونها لعبة جماعية في فلسفتها العامة هو منطق يحتاج إلى إعادة النظر بالكامل... فبعد مارادونا انتشرت سياسة ومفهومية اللاعب الفريق...

المهاجم لابد أن يكون هدافاً يعرف الطريق إلى المرمى والمدافع يستوجب عليه منع الوصول إلى الشباك والحارس دوره ومهمته معروفة، أما لاعب الوسط فهناك ثلاث مهمات أساسية يتطلب فيها الحد الأدنى ممن يشغلون وينشطون في هذا المركز،فإما أن يكون صاحب تسديدة قوية يباغت بها الخصوم فيكونون دائماً في حالة ترقب لكرة سريعة قد تعبر إلى مرماهم فيضطرون إلى تحصينات مستمرة طوال التسعين دقيقة... أو صاحب تمريرة حاسمة تضع زملاءه المهاجمين في مواجهة الهدف داخل منطقة الجزاء.. وإما أن يكون من أولئك اللاعبين المسيطرين على الميدان، وهؤلاء هم من رفع مارادونا من قيمتهم الفنية وسلط الضوء على تحركاتهم ودورهم الفعال عقب ظهوره بقوة مطلع الثمانينيات... ومارادونا كان جميعهم!!

كما لايمكن إغفال نقطة هامة في تناول مقارنة مارادونا بميسي وهي قانون الانضباط والعنف والبطاقات الملونة أثناء المباراة... فطوال وجود مارادونا في الملاعب تقريباً كانت المخالفات التي تستوجب حصول المدافع على البطاقة الصفراء أو الحمراء ومن ثم تهديده ومعاقبته بالطرد والإبعاد قليلة لدرجة أن المهاجمين ولاعبي الوسط في تلك الفترة يتعرضون لوابل من الضرب والاعتداء دون رادع أو معاقبة، بينما يخشى المدافعون في السنوات الأخيرة أي في عهد ميسي الاحتكاك بقوة وشراسة مع لاعبي الخصم حتى لاينالوا بطاقة، كون الحكام محكومين تحت مظلة ما يسمى بحماية اللاعبين لإشهار البطاقات في أقل احتكاك قد يحسب ضمنياً في إطار العنف... وهو ما جعل كرة القدم أكثر متعة... في أكثر من مناسبة دولية من ضمنها كأس العالم هدد مدرب الأرجنتين بالانسحاب إن لم يحمِ الحكام مارادونا من عنف المدافعين...!!

القانون المعدل نحو ملاعب بلا عنف ساعد ميسي ورفقاءه بالتعبير عن إمكانياتهم وموهبتهم وقدرتهم أكثر من أولئك السابقين... ميسي لا يتعرض لحملة عنيفة مضادة ومؤذية داخل الملعب، وهذا بالطبع ساعده وساعد غيره وسواه لينطلقوا في فضاء رحب من إبداع لا يصطدم بأي تعامل خارج عن حدود تحكمها انضباطية صارمة...

فيفا تسعى بنفوذها وجبروتها إلى تحويل الملاعب من ساحة حلبة مصارعة بالأقدام إلى فناء حديقة... في أزمنة مارادونا يواجه اللاعب دفاعاً يضرب ويركل بلاهوادة ويواجه قانوناً رؤوفاً رحيماً بالجلاد ولايحمي الضحية... كان القانون أيام مارادونا متحالفاً حد التوافق مع حفلات الضرب والاعتداء بلا رادع... كان مارادونا ورفاقه كالراقصين مع الثعابين... عليهم التغلب على الخصم والحكم... جاء ميسي وجيله ليرقصوا مع الأنغام التي تدفعهم إلى مزيد من العطاء المغلف بحماية دولية... ماذا كان سيفعل مارادونا لو وجد هذا القانون الصارم... هل كان سيبكي في تلك الأمسية أمام الألمان؟!

صحيح أن كرة القدم أصبحت ممتعة والعقوبة تنتظر أولئك الخارجين على النص والنظام والقانون لكنها في الوقت ذاته منحت مارادونا أدلة حية وواقعية على أن ما كان يفعله لم يكن بالشيء السهل أو الاعتيادي، وهنا فقط تتلخص الصورة بكل تجلياتها حول ذلك اللاعب الذي غيّر المفاهيم ووضع لكرة القدم الإبداعية قيمتها وأصولها ومعناها...

أما ميسي فليس من العدل تجاهل ما قدمه في مشواره، ولايمكن تهميشه أو استنقاصه لمجرد الارتقاء بتاريخ وأداء وعطاء مارادونا... فأكثر ما يجعل ميسي متمايزاً عن غيره هي لغة الأهداف الصعبة والسهلة في آن واحد... مارادونا كان كروياً في كافة أنحاء وأجواء الملعب... ميسي يحتاج لإثبات دهائه وذكائه وعبقريته المفرطة في علاقته الوثيقة مع الهدف... نادراً ما يسجل ميسي هدفاً عادياً أو هدفاً تنقصه ما يسمى بالحبكة الكروية...

يجتهد ميسي كثيراً بلقطة الختام... أهداف كثيرة تتضح فيها نواياه ورغبته في إيصال الكرة إلى الشباك... يستلمها ويحتضنها ويؤمن عليها ويضعها بين قدميه الراقصتين ويمشي مسرعاً متخطياً الدفاع كما يفعل سائقو الفورومولاون في سباقات السيارات مع الطريق المعبد... لايريد أن تصطدم قدماه بأقدام أو أجساد الآخرين... يريد أن يكمل طريقه حتى إذا ماوصل إلى منطقة الجزاء اختار اللحظة التي يكون فيها الحارس قد فقد فيها توازن الحركة بين تلك المسافة التي يرسل فيها العقل أوامره إلى الجسد ليتزن...في ذلك الجزء من الثانية يتحرك ويراهن ميسي ويرتكب جريمته المفضلة ويعطي ظهره للحارس الواقع على الأرض ويجري باتجاه الجمهور لإكمال مشاهد الفرحة...

العدائية ذات الطوابع الكروية إن صح التعبير تنحاز لمارادونا فميسي يكاد يكون رصيده خالياً من الخصوم والأضداد والمجابهين... ميسي يتنافس مع رونالدو... هذا صحيح لكن لكل منهما عالمه الذي يسهل من خلاله الفصل بينهما بعملية حسابية لاتستغرق أكثر من نصف ساعة... مارادونا استطاع أن يروّج لنفسه عدواً للبرازيل وألمانيا وإيطاليا وفيفا، وأيضاً كل تلك المدرجات التي استطاع أن يذيقها علقم الخسارة والهزيمة والانكسار... حينما يفوز مارادونا فإنه يجرع الخاسر المرارة... ليست الأرجنتين التي فازت بل مارادونا هو الذي انتصر... هذا أمر جلي جعل من خصومه ومناهضيه بقدر مجانينه... صار مارادونا كحال المزارع الذي يوزع بذرة الإبداع ويسقيها جنوناً في كل الأماكن بينما يحرص ميسي في الواجهة المقابلة أن يظهر بصورة الباحث عن حصاد السنابل والفاكهة في وقت القطاف،فبدا كتلك القطط الشيرازية اللطيفة التي تسكن القصور الفارهة واعتادت على أجواء الفخامة والنعومة... مارادونا ذئب بشري ذو أنياب تراها الأعين وبلا ابتسامات... وهذا الذي جعل منه فاشلاً قنوطاً خائباً خارج الملعب لولا أن ذلك ربما يعطي دلالة جديدة وإضافية بأن هذا المارد إنما هو مجند فكره وقلبه وجوارحه ما ظهر منها وما بطن لكرة القدم فحسب...!!

ميسي يمكن القول عنه بأنه الهداف برتبة موهوب.. مارادونا نظلمه إذا قلنا عنه مصنوع داخل الملعب... الأقرب أنه هو نفسه صانع... ميسي لديه قدرة التحكم بموهبته... مارادونا موهبته تتحكم فيه...

ميسي منطقته وحدوده ومقامه ومقره ومستقره أرض الخصم... يلعب ويبدع أكثر كلما اقترب من مرمى الفريق المنافس... ليس له وجود يستحق الذكر في النصف الأول من الملعب... مارادونا كالطيور المهاجرة في بداية الشتاء... كالسابحين في الفضاء... كالمتمردين على الجغرافيا والغطاء الجوي... لايعترف بتقسيم المستطيل الأخضر إلى أجزاء ومناطق ممنوعة دائماً، وأخرى أعلن فيها حظر التجول، وثالثة خاصة بمن يملك تصاريح المرور... مارادونا لديه نظرة شمولية... مثل الطغاة الذين يظنون أن الأرض أرضهم فلا تقيدهم أنظمة أو قوانين أو دستور... مارادونا منطقته المسموح له بالتحرك فيها وبقرار منه شخصياً... هو الملعب كله...!!

في يوم قريب أو بعيد سيغادر ميسي أرض الميدان ويرفع الراية البيضاء... ليس انسحاباً تكتيكياً أو استراتيجياً أو عسكرياً لكنها الدنيا وحساباتها... تتابع الأجيال والآمال... يبقى الماضي حاضراً أكثر من المستقبل... حتى وإن كان قاسياً أو هامشياً... كثيرون ارتبط حاضرهم وأيضاً مستقبلهم بالماضي... كثيرون أيضاً من يجعلون من الماضي رحلة طويت تفاصيلها... تركيبة ميسي الشخصية واضحة المعالم... شخص مسالم... سيحمل إنجازاته ومنجزاته وأوسمته ويغادر بهدوء... قد يتحول علامة ناجحة... بالطبع هذا في علم علام الغيوب... بعد أن يطوي ميسي مسيرته مع كرة القدم لن يصدع رأسه في نزاعات وخصومات وتصفية حسابات... لن يخوض في معارك على عدة جبهات... لايبدو أن لديه هوساً ونزقاً وطيشاً في تحويل حياته وأيامه إلى ساحة حروب باردة...

مارادونا على العكس تماماً تماماً... في كل مكان وطأت قدماه ترك أثراً ورسم خطوطاً موقدة باللهب ومشتعلة بالنار... فشل بجدارة واستحقاق وكفاءة عالية مدرباً مع الأندية والمنتخبات... لايصلح أن يكون إدارياً مسؤولاً... لم يصلح نفسه فكيف يصلح الآخرين...!!

هذا كله يؤكد ويقطع دابر الشك من جذوره أن مارادونا مهمته الوحيدة وقدرته المتفردة بأن يكون لاعب كرة قدم فقط وما سواه هي مهمات قد ينجزها غيره، لكن هو انتهى عملياً حينما قرر بمحض إرادته أن يتوقف عن كونه لاعباً إلى الانتقال إلى لاعب سابق...

حينما حصل الأرجنتين بقيادة مارادونا على كأس العالم ظل ذاك حدثاً بارزاً لأن الفائز مارادونا... وحينما حلت عليه الخسارة في عام 1990م أمام الألمان على الأراضي الإيطالية ظل ذاك أيضاً حدثاً بارزاً ومجلجلاً لأن الخاسر كان مارادونا، وظلت صورة عينيه الدامعتين مشهداً استثنائياً لايمكن إلا أن يكون واحداً من أهم أحداث المونديال طوال التاريخ... يمتلك ميسي تأثيراً مباشراً على النتائج... في كل مباراة يخوضها نادراً تنتهي دون أن يضع بصمته ويرسي صورته... إنه لاعب النتيجة وأحد أهم المؤثرين فيها وعليها، إذا كان بكامل عافيته أو حتى بنصفها أو ربعها فإنه يقول بلا جدلية كلمة يسمع صداها مع نهاية الصافرة... إذا ظهر متواضعاً مترهلاً فالأغلب أن النتيجة ستتأثر بسلبية متناهية على فريقه... ميسي تأثيره على نتيجة المباراة... مارادونا يصب تأثيره على المباراة ككل... يصبغ المباراة وأحداثها بلمسته وساحريته أكثر من نتيجتها... إنه المؤثر والمستأثر على الحدث أكثر وأعمق وأبعد من النتيجة...!!

بين المعشوق والعاشق قصة يمكن روايتها... ليس للاستماع والسرد والدوران حول حمى المناطق العاطفية... يمكن روايتها للاستفادة ومعرفة واكتشاف الفروقات بين عاشق ومعشوق...

علاقة ميسي مع كرة القدم منذ ظهوره الأول جاءت وفقاً لكونه المعشوق... يتعاطى معها بصبغة ذاك الذي افتتنت به الكرة واختارته خليلاً ونديماً وحبيباً... ليس تكبراً أو كبرياء ولا

تجبراً وخيلاء وإنما هي منهجية ذاتية فرضت نفسها على ميسي نفسه... ربما هذا سبب نجاحه الأول... مارادونا هو من يكمل الطرف الثاني... مارادونا يتعامل مع الكرة كعاشق مغرم من رأسه حتى أخمص قدميه... جاءها لأول مرة ليلعبها ويمارسها ويركلها كهواية وعلاقة لاتنتهي... ظل يتعاطى معها كل حين كما يفعل الصبية والأطفال الصغار الذين يهربون من التزامات المدرسة وتعاليم العائلة إلى فضاء الحرية والهوايات والأشياء البريئة المحببة للأنفس الرهيفة المرهفة... كبر مارادونا وكبر مجده وكبر اسمه وامتد تاريخه على امتداد العالم كله، وظل كما هو ذاك الهاوي المسكون بالملعب والمشبع بالجري وراء كرة القدم حد المتاعب التي تهد الجسد وتهوي وتسقط أمام الروح التواقة لوقت يمضي أكثر متعة في عملية اندماج واتساق وانسجام اللعب والتعب... يشعرك ميسي أن علاقته مع كرة القدم تبدأ وتنتهي في الملعب فكأنه محاضر في جامعة،

ولا يريد نقل تخصصه الدقيق أو الكلام عنه خارج أسوار الجامعة بعكس مارادونا الذي تظل عقلية ابن الحارة البسيطة ترافقه وتسيطر عليه، فيلعب المباراة ويتحدث عن مخططاته قبلها ويتحدث بعدها عن أحداثها وأجوائها وتفاصيلها... تسكنه كرة القدم ويسكنها... لعله الاختصار الأقرب للواقع...

ميسي لاعب يشبه أوراق الأشجار الباسقة وأغصانها تهزها الرياح وتحتفظ بأناقتها ونضارتها الأخاذة... ولاتكتمل الأشجار مهما تعملقت وطالت وتشخمت إلا بها... ميسي يهزه ما يدور خارج الملعب من أقوال وكلام ومتغيرات... بالفعل يملك موهبة باهرة تسر الناظرين ويفتقد لحصانة ضد الهواء الطلق... مارادونا كأجذع تلك الأشجار... متعمق ومتجذر في صلب الأرض... مشاكله وصراعاته والرياح التي تدور حوله أكثر من أن تُحصى لكنها أعيت وخابت على هزه والتأثير عليه... حينما تبدأ المباراة ينسى أو يتناسى كل شيء يدور في فلكه... لو كانت بالفعل تنال منه وتؤثر عليه وتنعكس عليه لما كانت سلوكياته بتلك الهيئة المضطربة...

لأن ميسي منضبط وشخصية اعتيادية يؤثر عليه كل ما يدور في محيطه... لأن مارادونا خليط من جنون يحمل غرائب الكرة ظلت الموجات الكهربائية والأشعة فوق البنفسجية تمر عليه دون دراية أو اهتمام...لا ننسى أن مارادونا خرج من الأرجنتين وجذوره متعمقة في أراضيها... ميسي ارتدى القميص السماوي المقلم بالأبيض وجذوره مزروعة خارج بلاده... يلعب ميسي مع الأرجنتين وكأنه لاعب أجنبي بلا إحساس، بينما يلعب مع برشلونة وكأنه ابن المدينة وأحد أركان النادي الذي لم يغادره أبداً.

يبدو للوهلة الأولى أن مارادونا وميسي من النسيج نفسه والعقلية نفسها ويغنيان من لحن واحد وكلمات شاعر واحد... لكن الحقيقة عكس ذلك تماماً... يتشابهان فقط في تلك الفلسفة الإبداعية التي لها قواعد متغيرة وغير ثابتة... ويختلفان بالتفاصيل الكبيرة

اختلافاَ ظاهراَ لايمكن رؤيته بسهولة كما هي الكرة عندما تعبر بلا رقيب متجاوزة خط المرمى...

الفرق واضح لكن من الأفضل... ميسي أفضل بامتلاك النوايا ذات رغبة رباعية الدفع نحو الهدف... ومارادونا أفضل لأنه أمضى حياته داخل الملعب كالمحارب على جبهة قتال لايسانده أحد ويتلقى الطعنات ثم ينتصر على من معه قبل أن ينتصر على من هم ضده...

مرة أخرى أيهما أفضل مارادونا أم ميسي...

والإجابة هي العودة إلى البدايات... الأفضل أن كرة القدم جعلت من هذه المقارنات مجالاً صاخباً ومثيراً لجدل لن ينتهي لأنها لعبة مزاجية ذات طقوس خاصة... كما هو مارادونا عاش بطقوس خاصة وأمزجة غريبة مبكية مضحكة فأصبح كرة قدم لوحدها!!

الأمر الأهم في كرة القدم... أنها ليست فقط عن كرة القدم.

السير تيريبرا تشيت... روائي إنجليزي

البرازيل والأرجنتين.. أين تقف أنت؟

أهم ما فعله البرازيل والأرجنتين لكرة القدم ليس تقديم جيش من النجوم الدهاة الواقف في طليعته مارادونا وبيليه ودي ستيفانو ورونالدو وسقراط وزيكوورونالدينهووريفالينو وميسي وقائمة مزدحمة بوجوه لا تخطئها الذاكرة ولا تنساها أو تتجاهلها... إنما الأهم يكمن في صناعة الفريقين اللدودين...

ظهر البرازيل والأرجنتين بعيداً عن أوروبا حيث سطوة المال والإعلام والضوء والاهتمام... دولتان خارج الاهتمام الاقتصادي والسياسي والثقل الصناعي المؤثر مباشرة في حياة الناس حول العالم... من خلال كرة القدم فقط تعرف الإنسان الشعبي البسيط على دولة تدعى البرازيل ودولة أخرى تدعى الأرجنتين... ذاك من سالف الأزمان... ليس للأمر علاقة وارتباط بأي تطور استراتيجي في نمو الدولتين، وإنما فقط هو الدرس المجاني الكبير الذي قدماه لمتعة التنافس الشرس في عوالم اللعبة اللذيذة... أول ديربي تنافسي حقيقي في كرة القدم انطلق فعلياً بين أقدام مرتدي القمصان الصفراء وأضدادهم أولئك الذي يتزينون باللون السماوي المقلم بالأبيض... كان للأرجنتين والبرازيل قبل انتزاعهما الاهتمام منافسات مع سواهما، لكن حينما بدأت الحكاية تتشكل كفريقين متنافسين بالصورة التقليدية التي هي أحد أهم أوجه ما يمكن وصفه بلذائذ كرة القدم اضطرالمتابعين الغرباء من خارج الدولتين على الانحياز إلى أحدهما...

لسنوات عديدة وطويلة انقسم جمهور كرة القدم حول العالم بين البرازيليين والأرجنتينيين... الذي يحبون الكرة الهجومية البعيدة عن القيود الدفاعية واللعب المفتوح والربط السهل بين الهجوم والدفاع والوصول بسرعة إلى منطقة الثمانية عشر للخصوم عشقوا البرازيل... الذين أرتبطوا بالساحر مارادونا وكمبس ورفاقهم اختاروا الاصطفاف وراء الأرجنتين...

قدم صراع البرازيل والأرجنتين لكرة القدم هديةباهظة الثمن شكلت لها مزيداً من المريدين والمتابعين...

في أوروبا يتنافس الإنجليز والطليان والألمان والفرنسيون ويدخل على الخط بين حين وآخر منتخبات أخرى مثل الإسبان والكرواتوالبلجيك، لكن أوروبا بكل عتاولتها وعدتها وعتادها وتاريخها تفتقد للديربي الكروي الدولي الذي يتعاطى معه العالم بروح المنافسة ونهم وشوق وشغف التحدي... قد تشاهد مباراة مفترسة بين إيطاليا وألمانيا مثلاً لكن هذا الحدث ليس تنافساً تقليدياً أبداً...

لقد منحت مباريات البرازيل والأرجنتين لكرة القدم إضافات كثيرة وهامة ولا يمكن المرور بجوارها وكأنها تشبه سواها... إن كرة القدم مدينة وفي أعناقها ديون كبيرة وكثيرة للبرازيل والأرجنتين... أهمها مباراة التنافس هذه!!

كرة القدم هي فن أكثر مركزية لثقافتنا من أي فن يتفضل مجلس الفنون على الاعترافبه.

جيرماين جرير...أكاديمية وصحافية أسترالية

عندما كنت صغيراً

إنها أغنية الطفولة البريئة... إنها حلاوة الأيام القديمة التي ذهبت ولن تعود... إنها أرجوحة الزمن ولعبته المفضلة... هذه هي كرة القدم في أعين الملايين الذين لم يعد بإمكانهم أن يتعايشوا معها كما فعلوا من قبل.

إذا وجدت طفلاً لم يلعب ويمرح ويستأنس مع كرة القدم فتكون كالذي وجد الكنز المفقود... فرضت هذه الأعجوبة نفسها لتكون حاضرة وبقوة في تفاصيل يوميات الأطفال بالذات... كون تركيبتها وطقوسها تتواءم تماماً مع تلك الشقاوة والرغبة في تخطي حدود الصغار والممنوع أمام عقليات اليافعين... عطفاً على المتعة التي توفرها وتستحضرها في أمزجة من تركلها أقدامهم...

ولكل إنسان وشخص ورجل أوراق لم يأخذها الريح ولم تنم نومة أهل الكهف في الذاكرة والعلاقة الأبدية المتينة بين البشر من جهة والكرة الأولى من الجهة الأخرى... حتى باتت ذكرياته وأصدقاؤه وأيامه الخواليَ ذات وثاق لاينقطع مع مباريات داخل الحارة وداخل المدرسة ومع الأصحاب والأحباب والأقارب...

ولن تختلف لذائذ هذه الذكريات بين مجتمع وآخر أو بين حالة ونقيضها في المستوى المعيشي والمادي، كون كرة القدم ذات قدرة جبارة على إلغاء تلك الفوارق والتركيز فقط على الجوانب الإمتاعية النفسية إن صح التعبير... ولو استقطعت وقتاً بسيطاً لحديث مراهق أو شاب وتركته يغوص في دهاليز ذاكرة طفولته وصباه فسيأخذ رفقاء اللعب وحكايات اللعبة نصيب الأسد من كلامه وروايته...

وليس أدل من ذلك على أن كرة القدم تبدو الأكثر تأهيلاً واستقطاباً لدرجات سنية في أوقات مبكرة للغاية قياساً بالألعاب الأخرى... ففي العشرين عاماً الأخيرة تجلت مرحلة البراعم التي يبدأ فيها النشء بأعمار لم تتجاوز الخمسة أو الستة أعوام واقتحمت على أثرها مئات وآلاف الأكاديميات التي انتشرت كانتشار النار في الهشيم على كامل الخارطة الدولية، وتسابقت الأندية العالمية للسير خلف بعضها وراء المبادرة إلى تعليم الصغار أساسيات ومهارات كرة القدم التي فرضت نفسها بقوة كلعبة وسلوك اشتبكت مع الصغار في كل تشعبات هواياتهم اليومية...

إن كرة القدم ما هي إلا تلك الأيقونة الحية التي ارتضى ملايين الأطفال في مختلف دول العالم لتكون وحدها دون غيرها القاسم المشترك واللغة الموحدة بينهم التي تربطهم دون أي اتفاقيات مسبقة، فالطفل في الصين والطفل في أفريقيا والطفل في أوروبا والطفل في

العالم العربي جميعهم تآخذ منهم كرة القدم الاهتمام الأوسع في محيط برامجهم اليومية حينما تتاح لهم الفرصة وتشرع الأبواب أمامهم لممارسة اللهو المحبب للنفس...

تبدو كرة القدم عندما نتحدث عن ارتباطها العميق بأيام الطفولة وكأننا نعيد بصورة مختلفة وطريقة مغايرة ما كان يقوله الشخصية البريطانية الأسطورية تشرشل: "إنها ليست البداية... إنها ليست النهاية".

كان تشرشل يتكلم بالطبع عن حروب طاحنة فحياته تصبغت بالحرب وأجوائها... والأطفال هم أيضاً تصبغوا بالكرة وأجوائها... بعضهم يكبر وتمضي به رحلة العمر ويحول كرة القدم إلى حرب في محيطه وفي نفسه... كل شيء يكبر ويغزوه الشيب إلا كرة القدم تظل طفلة تلهو وترقص وتلعب لأنها لاتريد أن تشيخ... لأن أجواء وحكايات الطفولة استهوتها فلاتريد المغادرة..

إنها الطفلة الباسمة التي تولد مع الأطفال وتترعرع مع المراهقين وتحيا وتعيش مع الكبار...

إنها لكل الناس، ولكل الأعمار، ولكل الظروف... ولك أنت وحدك.

لو تم اختراع التلفاز فقط لبث مباريات كرة لكان الاختراع أثبت جدارته.

روبرت وفونتاناروزا...رسام أرجنتيني

التكنولوجيا.. الخوف القادم

تسللت التكنولوجيا والتقنية في حياة الناس دون إنذار سابق... تحولت الحياة إلى أرقام وآلات تتحكم بكل شيء حول البشر... دخلت التكنولوجيا في كل مجال... اقتحمت الدواءوالتجميل والصحافة والعطور والنقل والسفر والأكل... وصلت نيرانها الصديقة إلى كرة القدم، وتابع الجماهير كيف فعلت تقنية "فار" التي تعتمد على مشاهدة وإعادة الحالات الجدلية عبر تقنية الفيديو ليقود المباراة حكم داخل الملعب وأجهزة رصد وتتبع وعيون تشاهد في غرفة مكيفة خارج الملعب... كانت أخطاء الحكام كما يشاع من طبيعة وحلاوة ومتعة اللعبة وأجوائها المتسمة بالغرابة والإثارة والخروج عن المألوف... التكنولوجيا قادمة بكل قوة...أصبحت أمراً واقعاً... دخلت الآن الملعب... فهل القضاء على الأخطاء التحكيمية أو الحد والتقليل منها سيؤدي إلى القضاء تدريجياً على جمال ومتعة اللعبة؟...

قد تزداد العدالة لكن القضاء على الظلم والقرارات الخاطئة التي هي من صميم تاريخ كرة القدم يبدو قضاء على شيء تأسس معها ورافقها منذ عشرات السنين... المشكلة الأكبر إذا وقع اللاعب نفسه أسيراً للتكنولوجيا... هنا قد تنتهي حقبة حية من الهوامش الحديثة التي ظلت صامدة تساعد في تفشي اللعبة وهوسها بين الناس... لو كانت التكنولوجيا حية ترزق خلالأعوامٍمخالية لما حكى الناس طويلاً عن يد مارادونا مثلاً التي غمز بها الكرة في مرمى الإنجليز خلال مونديال المكسيك وخدع الحكم وأطرب الجمهور... ثم إن التقنية قد تفقد كرة القدم خاصية المساواة بين الكثيرين... هناك دول تملك الإمكانيات التي تجعلها تقدم وتستعين بأجهزة حديثة ومتطورة ودقيقة، وعلى الجانب الآخر قد لا تساعد الحالة الاقتصادية دول أخرى للدخول في الإطار التقني ذاته... هنا ستتباين الوجوه ولا تعد كرة القدم تتساوى فيها الرؤوس...

كرة القدم ليست ضد العلم وليست ضد التقنية وليست ضد الحداثة والتطور... إنها فقط ضد أي زيادة وإضافات تجعل حاضرها لا يشبه ماضيها...!

كرة القدم هي رقصة بالية جماهيرية

ديميتري شوستاكوفيتش...عازف بيانو ومؤلف موسيقي روسي

المستقبل.. الغموض يفرض نفسه

يصعب التنبؤبمستقبل الأشياء... هذا في علم الغيب... الدنيا بطبيعتها تتواءم مع المتغيرات... الحياة ليست صخرة متشبثة بجذور الأرض... ما كان غريباً بالأمس أصبح اليوم معتاداً وطبيعياً... التطور والتقدم ورفض أدوات الماضي هي سلسلة مترابطة كأغلال المساجين تدعو دائماً وأبداً إلى التغيير أي كان شكله ونوعه ومضمونه... كرة القدم جزء من هذه الدنيا... سيطالها التغيير طال الزمان أم قصر... بدأت ملامح هذا التحول عندما فرضت التقنية نفسها على المنظومة الكروية... تتعالى أصوات عديدة تريد أن تبقى كرة القدم متمسكة بإرثها التقليدي الذي جعل منها ملاذاً شعبياً في كل مكان حول العالم... ماذا سيفعل المستقبل بكرة القدم...؟...

لا يبدو أن الأمور ستظل حبيسة الجمود والبقاء كما كانت طوال المائة عامٍ الماضية... التسلل لم يدخل منذ البداية لكنه صار من بين دساتيرها التي لا يكتمل المشهد الكروي من دونه... البطاقات الصفراء والحمراء هي أيضاً لا تحمل تاريخاً ضارباً في القدم والزمن وإنما استحدثت في منتصف الستينيات تقريباً... الآن تبدو التقنية الأقرب للدخول على المشهد... الذين ينادون بها يستندون إلى أن هناك فرقاً ومنتخبات وفي منافسات محلية ودولية هامة تتعرض للمظالم الفاضحة بقرارات متعجلة من طاقم التحكيم تلغي العدالة ومبادئها تماماً فتظل الحسرة والضغينة والألم على صافرة لم تنطق بالحقيقة عنواناً يفوق كل ما يقال عن اللعبة والمباراة واللاعبين... أما الفريق الآخر الرافض للتقنية فهو يخشى أن هذا التدخل إنما جاء ليشوه من إثارة اللعبة وجمالياتها وطقوسها التي تستمد من الأخطاء البشرية المعتادة جزءاً من ديمومتها وانتشارها... وبين هذينالقولين صراع التغيير الذي لا يعرف أين سينتهي وأين سيستقر...!!

أما الوجه الناعم لمستقبل كرة القدم فيكمن في تعاطي الناس معها واستمرار اندفاعهم تجاهها... الجيل الجديد لديه بدائل كثيرة أهمها وأبرزها وأوضحها أثراً هو انغماسه في العالم الافتراضي الذي من ضمن أسلحته وأدواته لعبة البلايستيشن التي قد تغني تماماً عن الاستمتاع بمتابعة مباراة على الشاشة... إنها على ما يبدو تغذي وتملأ الجانب الخفي لرغبة التعامل مع كرة القدم كأداة ممتعة تستقطع الوقت الأعلى في خانة التسلية والترفيه...

ظلت كرة القدم هي المتنفس الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه كل وقتوفي كل زمان ومكان... المعطيات تغيرت تماماً وتبدلت... الجيل الحاضر الذي بدأتأعينه تتفتح على الدنيا والعالم لديه متسع كبير من الخيارات والبدائل الواسعة... ما عادت كرة القدم وممارستها ومتابعتها وحدها هي الملاذ والمهرب والملجأمن ضغوطات العائلة والدراسة والحياة... في كل أرجاء هذا العالم قد تبدو كرة القدم في طور التراجع ضمن الاهتمام البشري وربما تعود الأمور إلى نصابها والحياة إلى مجاريها وتستمر حالة الإرتباط بين الناس وكرة القدم تتوالد

من جديد، وقد تخسر اللعبة بالفعل أهمية خصوصياتها المتمثلة في شغف الناس واهتماماتهم، وهذا لا يعني أبداً أن هذا التراجع سيكون لمصلحة لعبة أخرى... هذا أمر مستبعد تماماً على الأقل في الخمسين عاماً القادمة كما تقول الدلائل على أرض الواقع، لكن المخاوف فقط من تراجع اللعبة في صراعها مع اهتمامات الناس التالية وسط تسارع خطوات وسائل التواصل الاجتماعي والأجهزة الذكية والتقنية التي تلتهم ضحايا جدداً كل ساعة وبالآلاف والملايين...

إن حرب كرة القدم في مستقبلها ليس أبداً مع لعبة مشابهة وإنما هي صراع مع ذائقة الإنسان ومزاجه... وهذه هي الحرب التي ستخوضها اللعبة بلا هوادة... وربما تخسرها وبالضربة القاضية...!!

عندما كنت في العاشرة من العمر... كتبت موضوع إنشاء عمّا سأكون عندما أكبر وكتبت أنني سأصبح لاعب كرة قدم محترفاً وممثلاً كوميدياً عند نهاية كل موسم.

ويل فيريل...ممثل كوميدي أمريكي

في لعبة المال... الانتشار ليس مهماً

جولة سريعة في إحدى بطولات كرة القدم سواء كأس العالم أو بطولة الأمم الأوروبية أو نظيرتها وشقيقاتها في القارة السمراء والقارة الآسيوية العملاقة يتضح جلياً الرقم المالي المهول الذي يجنيه الاتحاد الدولي لكرة القدم من وراء النقل والإذاعة والإعلان والحقوق... أرقام توصف أحياناً بصدق وأمانة بالفلكية والمهولة تجتاز حينها التوقعات... فهل كرة القدم تجارة ومكاسب وأرباح فحسب؟...

أبداً لكن الذي يجب أن يعرف عن قادة اللعبة الشعبية الجارفة أن المداخيل واستمرار تدفق الأموال على هذه المنظومة الساكنة في قلب الدولة السويسرية الناعمة يظل هاجساً دائماً ومستمراً حتى يمكنها من تنفيذ مشاريعها الداعمة لجهات عاجزة في عدة قارات حول العالم... ما عاد انتشار اللعبة وتغلغلها في حياة الناس يمثل بالنسبة للاتحاد الدولي أمراً ذاأهمية أو اهتمام فقد اجتازت هذه المرحلة في السنوات الثلاثين الأخيرة... واتحاد الكرة الدولي يخشى فقط من تراجع شغف الجمهور، وإن كانت قضية كهذه لم تطرح بعد للحوار والدراسة والنقاش إلا أن الأهم في جدولة القائمين على فيفا يتمثل فقط في ارتفاع نسب الأرباح في بطولات صار اسم المليار فيها أمراً اعتيادياً...

هناك صورة لامعة لا يمكن المرور عليها بهدوء تتمثل في أن كرة القدم ألغت الفوارق الاجتماعية والثقافات بين الشعوب... احتراف وانتقال لاعب من بلد إلى بلد آخر من أجل كرة القدم يقلص المسافة التي لا يمكن أبداً تجاوزها بسهولة في أي مجال آخر... هذا وحده يعطي كرة القدم القدرة على أن تصبح لغة شعبية تترجم في كل مكان وبلا صوت...

إذا كنت إسبانياً فعليك أن تعرف كيف تلعب كرة القدم.

إنريكيه إجيلزياس...مغنٍّ إسباني شهير

بين الحارة وريال مدريد...

لو طرحت استفتاء واسعاً على محبي ومشجعي وممارسي كرة القدم مفاده: ماذا تفضل... خوض مباراة مع أصدقاء الحارة أو مشاهدة مواجهة حامية لريال مدريد الإسباني المدجج بأغلى نجوم كرة القدم في الدنيا...؟ لا يمكن الجزم بنتيجة هذا الاستفتاء بشكل مسبق... وهذا بالطبع أمر يؤمن به وبمنطقيته العارفون والمتعايشون مع كرة القدم بطبيعتها المتفردة... ستتباين الأصوات وستختلف الآراء وتتعارض الإجابات...

الذي لا يعرف كرة القدم على الأغلب سيختار مشاهدة مباراة الفريق الإسباني ففيها الراحة والهدوء والاستمتاع لأنه طبعاً يجهل معنى أن يجري عشرون لاعباً وخلفهما حارسي مرمى تحت أشعة الشمس اللاهبة وفي بيئة أرضية لا تتواءم وتتناسب مع خوض مباراة كروية... إن سؤال الحارة ومشاهدة ريال مدريد مثلاً يظل واحداً من أقنعة عديدة ترتديها كرة القدم أمام أولئك الغرباء الذين لا يدركون ولا يعرفون أشباهها وملامحها إلا من كلام الناس... سؤال بسيط وساذج لكن إجابته صعبة ومعقدة ومكتظة بالحيرة والغرابة وأسرار كرة القدم...

أنا نجم روك لأنني لم أنجح في لعبة كرة القدم.

رودستيوارت...مغني روك بريطاني

مثل الحلوى والوجوه الجميلة

الإنسان السوي بطبعه ملول ومتضجر ومجبول على التغيير والتعدد والتنوع... يكره الإنسان الاستدامة والتثبت والبقاء والجمود... إنها حكمة الله في خلقه... وسبحانه أحكم الحاكمين...

ولكرة القدم نصيب من هذه النزاعات النفسية والروحية في عالم الإنسان... ولا أدل ولا أوضح حينما تعاد الأهداف التي اتفق على وصمها بحلاوة الكرة عشرات أو مئات أو آلاف المرات دون أن يصاب من رآها بشيء من ذلك التملل أو تنتابه حالة السأم من شدة التكرار والتأفف من حفلات الإعادات... هناك أهداف كروية طالعها البشر ملايين المرات ومع ذلك حينما تعرض على الشاشة فإن من سبق له مشاهدتها كثيراً أو قليلاً لن تغير من الأمر شيئاً... ستتصلب عدسة عينيه حتى اللحظة الأخيرة من تلك اللقطة التي حفظتها أنظاره كما حفظت جوارحه اسمه وشكله ومزاجه.

البرازيل وإيطاليا في مباراة لا تنسى ولن تبرح الذاكرة بأهدافها الخمسة... ظلت تلك المباراة حدثاً مجلجلاً كما هي معركة الطرف الأغر بين البحرية البريطانية وخصومها الفرنسيين والإسبانيين... الفروقات لا تبدو كبيرة إذا أحلنا المقارنة إلى التأثير على الحالة الإنسانية في إطارها الصحيح، ثم اتفقنا قبل كل شيء أن كرة القدم هي حرب من نوع آخر من دون أسلحة ومن دون ضحايا ومن دون أشلاء وجماجم...

مباراة ظلت مرجعاً دائماً لفلسفة المدربين في ماهية اللعب على الأطراف.. كانت أشبه بالضوء الذي أعلن بوضوح وفي عتمة الليل ووسط الظلام أهمية التغير التكتيكي للتخلص من قيود الاعتماد على رأس الحربة التقليدي في سلوك الطرق المختصرة وراء هز الشباك... أرادت تلك المواجهة التي راقبها العالم في نصف نهائي مونديال إسبانيا عام 1982م إيقاف الفكر الكروي المستنسخ في الحركة الهجومية وصناعة اللعب ومباغتة الخصم من الأطراف والعمق ووسط الملعب دون التقيد بالأساليب المعتادة التي تكبل لاعبي الوسط بقيود ومهام دفاعية، جعلت من اللعبة في أحيان كثيرة ومناسبات كثيرة كمحاولة لمنع الأهداف لا لتسجيلها...

ربما كانت هناك مباريات قبلها سعت وحاولت أن تقول العبارة نفسها والجملة نفسها لولا أن متعة البرازيل وإيطاليا بأهدافها الخمسة وحساسية وأهمية المباراة تحت أشعة شمس أوروبية لاهبة حوّلت المدرجات إلى ساحل يستغيث بنسمة هواء باردة تهب من وراء المحيط مع موج يتدفق على العشب الأخضر.

إنها واحدة من مباريات تمثل الخرافة والأعجوبة والأسطورة وحكاية كرة القدم منذ مولدها بطريقة طبيعية وحتى بلوغها سن الرشد... ومع كل ما يمكن أن يقال فيها وعنها تظل المرات الخمس التي اهتزت بها الشباك نموذجاً كافياً للاستدلال على الهدف وكيف أنه لا يموت ولا يهرم ولا يمرض لو أعيد للحياة ألف مرة.

تلك المباراة مع أهميتها ومع كل ما فرضته على مستقبل كرة القدم إلا أن الأهداف وحدها التي صمدت وعاشت وسار بها الركبان دليل قاطع وبرهان ساطع وإثبات لايحتاج إلى شهود وهيئة محلفين،إن الاهداف هي ملخص رواية طويلة لم يتسلل الملل إلى أحد قرائها طوال هذه السنين العابرة جيل وراء جيل...

كانت مباراة البرازيل وإيطاليا انتقالاً طبيعياً وسلساً لسلطة الكرة المقتولة في وسط الملعب إلى الانفتاح والتحرر والأداء المندفع نحو الأمام... مع كل تلك المميزات التي منحتها واحدة من أهم مباريات الكرة عبر التاريخ ظلت أهدافها فقط الصامدة وسط سيل جارف من نجوم تتوالد ومباريات تخطف الألباب وأحداث تفرض نفسها على الزمن والأيام...

وما يقال عن تلك المباراة ربما يقال وبالطريقة ذاتها عن مباراة أخرى أثارت حماسة العالم كله لكنها تلاشت كما تتلاشى السحب العابرة وراء الأفق في منتصف نهار مشمس وسط أغسطس... بينما تبقى الأهداف كتلك النخيل الشاهقة صامدة شامخة في وجه الريح والعاصفة والأعاصير...

لا أحد يذكر من مباراة الأرجنتين وإنجلترا في ربع نهائي مونديال المكسيك سوى ما فعله مارادونا حينما استلم الكرة من منتصف الملعب وراح يجري وسط أراضي بريطانيا العظمى بخطى معوجة، وكأنه تلك الصخرة التي قال عنها الجاهلي امرؤ القيس في معلقته:

كجلمود صخر حطه السيل من علِ..

هدف لايعترف بخطوط الطول والعرض.. ارتبط بالذهنية الإنسانية الغارقة بهوس كرة القدم... تنسى المباراة بكل شرورها وسيظل ذاك الهدف جالساً في مقعد لا ينازعه عليه أحد وكأنه الربيع المختال ضاحكاً...

في القارة الصفراء يجد السعوديون أنفسهم بلا مقدمات ولا تحذيرات ولا صافرات إنذار أمام الحلم الذي أصبح حقيقة... سماء سنغافورة ملبدة بالغيوم وأرض الملعب تحول إلى

بركة من الطين والوحل...

آسيا تستعد لتمنح زعامتها أحد عشر لاعباً يرتدون القمصان الحمراء... هي تسعون دقيقة فقط ويمشي الصينيون بأفراحهم على السجادة الحمراء نحو منصة المجد والذهب والقمة... كانوا أكثر ثقة وأكثر خبرة وأكثر قدرة على الحسم والأصوات أغلبها تمنحهم الترشيح للقب أمام أولئك القادمين من الصحراء... تنتهي المباراة بشيء من المفاجأة وشيء من الصدمة... وتعيش آسيا مرحلة جديدة في حياتها الكروية... السعوديون يعتلون عرش كرة القدم... الحقيقة التي لايمكن تصديقها بسهولة... حدث جديد غيّر خارطة كرة القدم في آسيا إلى الأبد... لكن ماذا تبقى في ذهن الناس عن تلك الملحمة... لاشيء... لاشيء... إنه هدف ماجد عبدالله وصوت علي داوود يصف المشهد بنبرة صارخة... كسر طقم الصين كله...!!

هل نحتاج إلى توضيح الواضحات... أحياناً ربما... باختصارحينما تشاهد هدفاً لأول مرة في نشرة أخبار أو عبر شاشة جوالك الصغير، فإن هذا مشهد يجعل من كرة القدم كائناً تنبض في أوردته وشرايينه الحياة كل حين...لا تستوقفك لحظة تسجيل نقطة في كرة الطائرة أو السلة أو الجولف إلا إذا كانت خارج العادة وفوق مستوى الأمور الطبيعية... نقاط وأهداف كرة السلة أو الطائرة أو اليد لاتحملولاتمتلك صفة الخلود في ذاكرة الناس... أهداف كرة القدم تحكي عنها الأجيال كما تحكي عن معارك وزلازل وأعاصير مرعبة... لاتسكن الذاكرة فحسب...إنها تحتلها وتستعمرها وتحاصرها وتأسرها حباً وسمعاً وطاعة...

الهدف تشاهده ولا تمله... أما لماذا فهو السؤال الذي قد يستعصي فهمه أو إفهامه بطريقة عابرة... قد يكون الشرح المستفيض يحتاج إلى ربط العلاقة العاطفية والذهنية والعقلية وبنائها على قاعدة نفسية كما هو حال القواعد الكيميائية المعقدة...

الأهداف.. إنها قرص الشمس التي تراها في مرمى فريقك المفضل مشرقة في عز الظهيرة فتعذب عينيك ولا تهوى أن تطيل النظر إليها...

الأهداف.. إنها قرص الشمس وأنت تطالعها تمزق شباك خصوم فريقك وهي تأذن بالغروب...

ما أحلى لحظات الغروب بين الرمال الساحرة... بين الأشجار وعلى التلال... وراء زرقة البحر... ما أجمل الشمس... ما أجمل الأهداف!!

أحبكرةالقدموهذاكلماأشاهده...أشاهدكرةالقدمفيالنهاربأكملهإنكنتأستطيعذلك...لكنيأصبحتع جوزاًللعبكرةالقدمالآن.

جيزرباتلر...عازفومؤلفموسيقيبريطاني

صورة خارج الإطار

في مدرج متسع لعشرات الآلاف تقطع تذكرتك وتأخذ مكانك لمساندة ومتابعة أحد عشر لاعباً فرض عليك الزمن أن يتجه هواك وميولك إلى لون قميص يرتدونه... هكذا بلا أسباب معروفة أو دوافع مفهومة، وكأنها الأقدار التي حملتك دون اختيار ودون تبصر للسير خلف هذا الركب إلى آخر المطاف وإلى نهاية الطريق...

لاتعرف من يجلس بجانبك... لاتعرف هويته أو أهواءه، لكن الذي تعرفه عنه فقط أن روحيكما اتفقتا كما يتفق الأحباء والأطفال الصغار الأبرياء على عشق أرجوحة تتراقص في الهواء داخل حديقة في أيام الأعياد الأولى... الذي يجلس بجانبك في المدرج تجمعكما الكيمياء الإنسانية التي لايعلم سرها إلا الله...

كرة القدم لها من هذه الكيمياء الشيء الوافر المتوافر الكثير ولعل العاصمة اللبنانية بيروت تقدم صورة حية في هذا الإطار الذي يحاصر الصورة، وكلما حاولت الريح أو العاصفة أن تقتلع ذلك الإطار المتين تمسكت الصورة نفسها بإطارها في علاقة حميمية نادرة وعميقة... فكلما بلغ الصدام والعداء الاجتماعي والسياسي والعقائدي بين السنة والشيعة مبلغه ومنتهاه وأوجه وعز اشتعاله في بلد ظل لسنوات طويلة يمثل السحابة البيضاء في سماء العرب ذكرتهم كرة القدم بالنجمة...

هذه النجمة ليست كوكباً مشعاً في كبد السماء... ليست نجمة تسطع في ليلة مظلمة... النجمة ماهو إلا فريق كرة قدم سيطر على النسبة العظمى من المشجعين والمحبين والجماهير في كل المدن والقرى والبلدات والمناطق اللبنانية...

نادي النجمة اللبناني نموذج لأسطورية كرة القدم وفرضيتها وقوتها ونفوذها على تحدي أي عقبات وخطوط حمراء ربما تفرضها عوامل إيديولوجية موغلة في تشابك وتعارض المصالح الضيقة... فهو فريق تمتلئ مدرجاته عن بكرة أبيها بكل الطوائف اللبنانية المتعارضة والمتنافرة والمتصارعة والمتعادية والتي أحدث بينها الخلاف عمقاً أسود يصعب ردمه على المدى القريب... فتتولى إدارته وقيادته أسماء بارزة من فصيل سياسي سني، ويمثل الفريق لاعبين عدة من شيعة ومسيحيين يقفون موقفاً مضاداً لتوجه إدارة ناديهم... وكذلك هي مدرجاته وجمهوره...فالنجمةوحدهفيلبنانألغفيقلوبومشاعرشعبيته الجارفة تلك الفوارق البارزة والواضحة كما هي الشمس في رابعة النهار، فالنجماويون يختلفون على قضايا استراتيجية دولية خاصة إذا تذكرنا أن السياسة في لبنان ليست كالسياسة في أي بقعة أخرى على وجه الأرض، كون هذه السياسة وانعكاساتها تؤثر وبسرعة على حياة الناس بسطائهموأكابرهموفقرائهموأغنيائهم دون تمييز، فالدولة اللبنانية ظلت منذ سنوات طويلة أسيرة تجاذبات وصراعات وخلافات إقليمية شرسة، وطالما كانت

ساحة واسعة لتصفية حسابات ليس للبنانيين فيها ناقة أو جمل، لتبقى بيروت وشقيقاتها كقطعة شوكولاته فاخرة أو سنبلة خضراء تتهددها النيران ولهيبها وموقدوها من الأرض والبر والبحر والفضاء...

مع تلك الصورة القاتمة في ضررها وأضرارها تصر النجمة بتاريخها الكروي على الاستمرار في حرب بلاهوادة لتعيش بعيداً جداً عن ذلك الألق وتلك المتاعب والمخاوف التي لا أمان منها ولها، رغم أن نادي النجمة كان طرفاً أساسياً في عداد ضحايا تفجير قرب مقر النادي في منطقة المنارة والذي أودى بحياة النائب البرلماني وليد عيدو، وذلك يوم الثالث من يونيو للعام 2007م، وفقد النجمة في ذلك الاستهداف الإجرامي اثنين من لاعبيه الصاعدين الواعدين حسين دقماق وحسين نعيم... ولاغرابة في ذلك أن يطلق اللبنانيون على ناديهم المحبوب نادي الشعب والذي انتصر على الإرهاب وانتصر على السياسة وانتصر على مآسي تريد تشويه الحياة وتشويه كرة القدم...

هناك مفارقة النشأة والبداية والتأسيس، فقد انطلق نادي النجمة اللبناني في عام 1945م، وهو العام ذاته الذي شهد نهاية أقسى وأعتى وأشرس حرب شهدها العالم طوال تاريخه بنهاية حقبة الحرب العالمية الثانية، فكأنها إيذان توافقي بأن يصبح النجمة المولود في بلد مليء بالحب وحكاياته والغارق بالبحر وأصدافه والمزروع وسط الياسمين حدثاً ورمزاً للسلم والسلام ونبذ الدم والحرب والخراب...

إن ولادة النجمة وتاريخه المضيء بالوئام والاتفاق لهو عنوان بارز على مساحة لبنان الصغيرة، يوجه رسالة خلالها فحواها ومضمونها أن كرة القدم ليست سوى أداة تتحدى ما عجز عنه الآخرون بفكرهم وعقولهم وأسلحتهم ومبادراتهم...

إن كرة القدم وبشهادة النجمة اللبناني وهي شهادة موثقة من مصادر رسمية هي صورة باسمة ضاحكة متفائلة خارج إطار مشتعل يحاول عبثاً الوصول إلى الصورة لإحراقها وجعلها رماداً لكن محاولاته كلها فاشلة...

إنها لعبة الحب ولعبة السلام... إنها لعبة الضوء والنجوم... إنها لعبة النجمة...

العائلة، الموسيقى وكرة القدم هذا كل شيء.

جونبيل...موسيقي إنجليزي راحل

وجه ضاحك وسط الظلام

بين كل الوجوه المكفهرة والعبوسة والمتشائمة وتلك التي تحمل الغربة في ملامحها يظهر وجه مبتسم حيناً وضاحك أحياناً أخرى، وسط الظلام الذي يحاول تشويه عالم كرة القدم بين مباراة وأخرى... فالحكاية في هذه الذاكرة مزدحمة حتى لاتكاد قصة جديدة تجد لها مكاناً خاصاً وأرضاً تضع فيها أقدامها...

عام 1962م وفي نهائي كأس اوروبا للأندية التي تعرف اليوم باسم دوري الأبطال... تقدم ريال مدريد الإسباني بنتيجة 3-2 على خصمه في النهائي بنفيكا البرتغالي... كان ريال مدريد بقيادة نجمه الأسطوري الأرجنتيني ألفريد ودي ستيفانو في طريقه الاعتيادي نحو الظفر بلقب جديد بعدما سيطر على البطولة وتوج بلقبها في نسخاتها الخمس الأولى المتتالية في الفترة ما بين 1956 و1960م. في تلك اللحظة لمع نجم لاعب تحول إلى أسطورة كروية... كان هو البرتغالي أوزيبيو الذي قلب الطاولة على الريال ودي ستيفانو بعدما سجل هدفين ليقود بنفيكا نحو اللقب بعدما انتهت المباراة بفوز البرتغاليين 5-3 في نهائي لن يُنسى...

الحادثة الأهم وقعت بعد لحظات من نهاية المباراة عندما تقدم دي ستيفانو نحو أوزيبيو وقدم له قميصه، فكان الأمر بمثابة تسليم شعلة النجومية من أسطورة إلى لاعب شاب بدأ في تلك المباراة رحلته الحقيقية نحو دخول كتب تاريخ كرة القدم... ويقول أوزيبيو عن هذه الحادثة... وعن قميص دي ستيفانو إنه كان الجائزة الأهم والأغلى التي حصل عليها في مسيرته نظراً لرمزيتها ومعناها الذي بعث في نفس اللاعب البرتغالي الشرف والفخر... تُوفي أوزيبيو في الخامس من يناير من العام 2014م من عمر يناهز 71 عاماً... واختار الموت أن يخطف دي ستيفانو في العام نفسه... حيث فارق الحياة في 7 يوليو بعد ثلاثة أيام على احتفاله بعيد ميلاده الـ 88.

في العام 2012م تلقت جماهير نادي أستون فيلا الإنجليزي خبراً حزيناً بعدما تأكد إصابة اللاعب البلغاري في صفوف الفريق ستيليانبيتروف بمرض اللوكيميا... غادر بيتروف النادي لفترة طويلة وغير محددة من أجل الدخول في برنامج علاجي، فغاب اللاعب الذي كان يرتدي الرقم 19 عن ملعب (فيلا بارك) في ظرف حزين... عاد بيتروف لاحقاً إلى الملعب كمشجع عندما تواجد في ملعب أستون فيلا خلال المواجهة أمام تشيلسي... عندها قررت جماهير أستون فيلا الوقوف والتصفيق عند الدقيقة 19 كتحية للاعب... تحولت هذه الظاهرة إلى ثقافة دائمة في ملعب (فيلا بارك)، فحتى الجماهير الزائرة أصبحت تقف عن الدقيقة 19 للتوجه إلى بيتروف، مثلت هذه الظاهرة دليلاً على أن صحة اللاعب تبقى أهم بكثير من أي نوع من أنواع التحدي في عالم كرة القدم.

وفي حادثة مماثلة... خضع اللاعب الفرنسي إيريك أبيدال لجراحة من أجل إزالة ورمٍ سرطاني في كبده في شهر مارس من العام 2013م، تهددت حينها مسيرة لاعب برشلونة... لكنه تفوق على مرضه وتعافى بشكل مدهش حتى إنه نجح بالعودة إلى الملاعب في الوقت المناسب... شارك أبيدال بعد شهرين فقط في المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا ولعب الدقائق الـ 90 كاملة خلال اللقاء الذي جمع برشلونة ومانشستر يونايتد حينها، وفي لقطة مميزة من قبل النادي الكاتالوني سُمح بأن يرتدي شارة قيادة الفريق خلال المباراة النهائية، كما أنه كان أول من رفع كأس البطولة أثناء التتويج بعد فوز برشلونة... عادت حالة أبيدال لتتأزم خلال الأشهر التالية... لكنه حارب مرضه مرة أخرى ليعود إلى الملاعب حيث أكمل مسيرته الكروية مع موناكو الفرنسي وأولمبياكوس اليوناني.

وهناك مشهد شبيه أكثر ألماً، فخلال المباراة النهائية لكأس العالم عام 2010م بين إسبانيا وهولندا سجل لاعب الوسط الموهوب أندريسإنييستا هدف المباراة الوحيد للمنتخب الإسباني... وبالرغم من مدى أهمية هذا الهدف الذي قاد إسبانيا نحو لقبها العالمي الأول... ودرجة الشهرة الإضافية التي سيحصل عليها اللاعب جراء تسجيله لأحد أغلى الأهداف في تاريخ الكرة الإسبانية، قرر إنييستا بعد لحظات من تسجيله للهدف أن يتقدم بإهدائه إلى زميل راحل... هذا الزميل هو داني خاركي... لاعب نادي إسبانيول الذي يعتبر غريماً لنادي برشلونة الذي يلعب له إنييستا... فقد فارق خاركي الحياة بعد تعرضه لنوبة قلبية أثناء حصة تدريبية مع فريقه، وقبل ثلاث سنوات من موعد المباراة النهائية لكأس العالم 2010م في ذلك اليوم وبعد هدفه المنشود خلع إنييستا قميص المنتخب الإسباني ليظهر عبارة كتبها على قميصه الداخلي وقال فيها: داني خاركي أنت دائماً معنا...

إنها مجرد صور لملمناها قبل أن تلامس الأرض وقد تساقطت من ألبوم ضخم وعرضناها فقط حتى لا تغيب وتنسى بين ملايين الصور ومئات الألبومات... إنها صور لا تموت لحياة لا تنتهي...!!

كرة القدم جزء من نسيج المجتمعات ومستودع للتقاليد.

فرانكلينفوير...صحاف يأمريكي

مائة عام أخرى

تسيطر كرة القدم منذ سنوات مديدة على الأماكن والاهتمامات والزوايا والأضواء... لاجدلية أبداً حول تشعبها واستئثارها بنصيب جم وغزير من الهوايات المحببة للأنفس والمفضلة للناس على اختلاف الفرقاء بأشكالهم وأنماطهم وجغرافيتهم.... وحتى على المستوى الرياضي الرسمي لكرة القدم ما يكفيها ويفيض من مساحة تتسع على الدوام عند مقارنتها مع ألعاب تتوافق معها في تمثيل الرياضة...

وهذه لعبة (البلاي ستيشن) الإلكترونية والتي تستحوذ على ذائقة الملايين حول العالم كله هي أساساً أحد مخرجات وتفريعات كرة القدم في فضاءاتها الرحبة... لولا كرة القدم لباتت البلاي ستيشن محصورة وبقيت مقيدة وأسيرة كلعبة طفولية بريئة لاقدرة لها على ذلك التمدد وكسر فوارق الزمن بضغطة زر...

أما منطقة الظلام التي تنتظر قبساً من رؤية تسعى دون خجل أو حساسية من مخاوف قراءة واقعية تتمثل في التنبؤ بمستقبل كرة القدم وأين ستتجه بها عوامل تعرية التطور التقني وتقلبات ومتغيرات بني البشر أنفسهم... ألديها قدرة فائقة وجلية على ذاك التطور المتسارع المنتظر الذي يغزو تفاصيل الحياة دون استئذان...؟!

هل ستصمد وحيدة في المراكز الأولى لا ينافسها أحد... أم إن هناك لعبة تولد في رحم المجهول وتتشكل في علم الغيب وتستعد لإطلاق صرخة الولادة والنشأة وتمنح كرة القدم تأشيرة خروج نهائية أو تقاعداً مبكراً أو تقبلاً لعدم التفرغ...؟!

قبل البحث عن إجابات تحاكي العقل والقلب في آن واحد لابد أن نتيقن لخفايا شخصية إلى أبعد مدى جعلت من كرة القدم حالة إنسانية فيها من الخصوصية ما يجعلها تبتعد طويلاً عن كونها مجرد لعبة كما يحاول بعض مناهضيها ومعارضيها وكارهيها الترويج لها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً...

تتمتع كرة القدم بعلاقة الارتباط الذي لاينفك أو تذروه الرياح... علاقة أبدية مستمرة ومتواصلة ومتجذرة كما هو التصاق شجرة عملاقة بالتربة والأرض منذ مئات السنين... مع الأيام تبدو مثل الصداقة والعشرة ورفقاء الطفولة يستحيل أن تصبح مجرد محطة عابرة في دروب ومشاوير الحياة... تحيط بها طقوس لذيذة سائغة شهية، فمتعة المتابعة والمشاهدة لاتقل أبداً عن متعة معرفة مجاهيلها كسماع نتيجة المباراة أو أحداثها وتفاصيلها...

تبقى كالأحلام السابحة في سماء الأمنيات، فكل من يدغدغه هواه في بلوغ حماها والانضمام إلى فصائلها ونجومها قد لايحتاج إلى مزية لتحقيق غايته...

أن تصبح لاعباً كروياً مشهوراً أو معروفاً لايتطلب الأمر برمته امتلاك موهبة مارادونية تحكي عنها الأجيال... هذه وغيرها العشرات تجعل من قراءة مستقبل كرة القدم أو حتى الخوض كمحاولة في هذا الاتجاه محفوفاً بالتعثر والتصادم مع عقلية حاضرة ومؤمنة تماماً بأن كرة القدم خارج أي مقارنة وأي حسبة وأي كلام يمكنه المساس من قريب أو بعيد بمكانتها المنزوية خلف قلوب مأسورة بتاريخها ونجومها وكل ما يثار حولها... إنه السؤال الأكثر خطورة والأكثر استحقاقاً للوقوف شموخاً بين نظرائه من علامات استفهام معلبة ومستهلكة بلغت من التداول عتياً...

ماذا عن مستقبل كرة القدم... هل ستظل صامدة أبية طوال مائة عام القادمة كما كانت في قرابة المائة عام المنطوية من معاشها بين الناس...

هل لديها القدرة والمقدرة على مواكبة الحركة التطويرية التي تسابق الأزمنة والأمكنة بسرعة أكثر كثيراً من خيال الإنسان...؟

هل ستنتهي أم ستتراجع أم ستتصاعد... أم سيبقى الحال على ما هو عليه...؟

كرة القدم... يا سيدة الأسئلة المعلقة دائماً... كل مائة عام وأنتِ بخير...

وكل عام وأنتِ تثيرين الأسئلة القديمة المتجددة نفسها... والأسئلة المضحكة المبكية نفسها... إنه السؤال الذي لا يمكن بأي حال الإجابة عليه... ليس لأنه صعباً... إنما لأنه سؤال قد لا يكون صالحاً حتى للتداول... فعلًا... كيف سيكون حالك بعد مائة عام يا كرة القدم...؟

أعرف عن كرة القدم أكثر مما أعرفه عن السياسة...

جايمز ويلسون... رئيس وزارة بريطانيا سابقاً

البرازيل.. تلك الملكة الجريحة

ما الذي جعل من البرازيل كالمعزوفة التي تطرب عشاق الكرة على خارطة العالم أجمع... يستمع لها الأوروبيون والآسيويون والأمريكان والأفارقة... تختلف الذائقة من مكان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن عالم إلى آخر، لولا أن أصحاب القمصان الصفراء والشورتات الزرقاء فرضوا مقطوعاتهم على كل الأسماع... يبدو أن البدايات الفعلية والحقيقية لانتشار واتساع شعبية كرة القدم والهيمنة البرازيلية مطلع الستينيات الميلادية بقيادة الأسطورة بيليه من جانب وبداية الغزو التلفزيوني هو العامل الرئيس في تلك الجماهيرية والشعبية الطاغية... فالبرازيليون لم يكونوا يقدمون الانتصارات المونديالية فقط وإنما كانوا أيضاً يرسخون مفهوم الكرة الهجومية المحببة للنفس التواقة بحثاً عن المتعة الباذخة في عبقرية كرة القدم...

حقق البرازيليون من خلال ما يسمى بجيل بيليه ثلاثة ألقاب مونديالية... وفي عام 1982م أصيب العالم بالصدمة حينما خرج سقراط وفالكاووزيكو من مولد المونديال الإسباني بلا حمص...

وصلت البرازيل إلى إسبانيا محملة بنسبة طاغية من الترشيحات وقدمت خلال البطولة مستويات مبهرة ومبدعة حد الفتنة والتعلق، لكن ذاك العطاء لم يقترن بمعانقة اللقب في نهاية المطاف... بعدها استمرت البرازيل في حالة ارتباك دائمة بين الوصول للنهائي والفوز باللقب أو الابتعاد عنه قليلاً حتى جاء العام 2014م، والذي استضاف فيه البرازيليون نهائيات كأس العالم ووجدوا الألمان أمامهم في دور الأربعة كالوحوش الكاسرة الجائعة الباحثة عن فريسة جاهزة للالتهام...تلقت البرازيل أكبر خسارة في تاريخها...كانت المشاهد في الملعب والمدرجات مروعة... لم يكن أكثر المتشائمين يظن أن البرازيل ستودع المسابقة بطريقة ذليلة وتخرج خاسرة بسبعة أهداف دفعة واحدة... خبر كروي زلزل العالم ذاك المساء... في الصباح خرجت الصحف وبكل اللغات تحكي عن البطل الذي لم يعد له وجود سوى في القصص والذكريات وحكايات الماضي... فعلياً انتهى زمن البرازيل الذي لايقهر... والبرازيل التي ظلت حليفاً استراتيجياً للفن والمتعة والألحان البيتهوفينية...

ليأتي في ظل هذا التغير الجلل سؤال مولود من رحم الخسارة...

ما الذي جعل البرازيل تسقط وتتهاوى من القمة إلى القاع في مشهد دراماتيكي كئيب؟ العملية لم تكن وليدة بطولة أو مباراة أو منافسة وإنما سلسلة بدأت تتراخى وتصاب بالتفكك والصدأ حتى وجدت نفسها تتمزق أشلاء متناثرة... وليس هناك متهمتكونآثاره بادية على مسرح الجريمة أكثر من أوروبا وأنديتها وملاعبها وأجوائها وسحرها الأخاذ... هي ليست مؤامرة على الطريقة العربية... لايمكن أن نقول إن ما حدث للمنتخب الأصفر

كان وراءه مخطط دبر بليل من أجل راقصي السامبا، ولايمكن تسطيح القضية عند تعاقب الأجيال أو تراجع مستوى جيل عن آخر أو رؤية فنية قاصرة من قبل المدربين...

ربما تكون هذه وقائع تستحق التعاطي معها بالكثير من الجدية عندما تنحصر الأزمة في مباراة واحدة أو بطولة واحدة، لكن عندما نتناولها في مجملها ومن كل زواياها القريبة والبعيدة فهنا يمكننا توجيه أصابع الاتهام إلى الأوروبيين وبلاتردد...

ظلت أوروبا قبلة لكل لاعب يحلم بالثراء السريع ومن كل بقاع الدنيا... الثراء والشهرة والنجومية والوصول إلى آخر مدى يمكن للاعب أو مدرب الوصول إليه... هذا لايحدث إلا في إسبانيا أو إيطاليا أو تحت مظلة الإنجليز... حينما انجرف لاعبو البرازيل جماعات وفرادى وتوزعوا بين أندية برشلونة وريال مدريد وتشيلسي وميلان وبايرن ميونخ تراجع منتخب بلادهم... نظرياً وعملياً وعلمياً كان يفترض أن يحدث العكس، فهم في حالة احتكاك طوال العام مع أبرز لاعبي الكرة الدوليين لولا أن السر في ذلك الجيل البرازيلي المرعب أنه لم يخرج من ملاعب البرازيل وأنديته على الإطلاق، وكان يصدر الكرة البسيطة الممتعة التي عرفها وتعايش معها في أجوائه فتشكلت هويته وسط أجواء متجانسة...

قد يكون الانغلاق البرازيلي حتى منتصف الثمانينيات أحد العوامل التي أسست لقوة كروية برازيلية ضاربة... وقد يكون الخروج إلى المجال الأوروبي الرحب هو الآخر عاملاً للتراجع والانحسار والانكسار... الانفتاح على الآخرين لم تجنِ من ورائه البرازيل سوى خسائر مذلة لم يكن يعرفها أحد كما فعلت بهم ألمانيا...

هذا بالطبع يتوقف فقط على الجزم حد اليقين أن التحاق اللاعبين البرازيليين في البطولات الأوروبية هو السبب ولا غيره، خاصة إذا استعرضنا قائمة الفضيحة الكروية السباعية ووجدنا أن ما يزيد عن التسعين بالمائة من اللاعبين يمثلون أندية أوروبية... ربما تكون أسباباً أو سبباً أو قد تكون مجرد ليلة عابرة من الطبيعي حدوثها في عوالم كرة القدم... كانت البرازيل بانغلاقها وانزواء لاعبيها ونجومها في دوري بلادهم المغمور والمجهول والغريب الذي لا تطاله أعين المشاهدين والمتابعين أهم أسرار التعملق والقوة وإصدار الفن الكروي... كأن الأوربيين عندما استقبلوا الطيور البرازيلية المهاجرة حلوا اللغز وفكوا الطلاسم وعرفوا السر البرازيلي...

ماذا فعلت أوروبا بالبرازيل... لاشيء.. أزاحت التاج من رأس الملكة... لا أكثر ولا أقل...!!

في منتخب كرة القدم الألماني يتشارك عدة لاعبين من أندية مختلفة معاً على ارض الملعب وخارجه،وفي الائتلاف الكبير بين الحزب الديمقراطي المسيحيو الحزب الاشتراكي الديمقراطي يجلس السياسيون في قارب واحد...وعليهم أن يجذفوا في الاتجاه نفسه.

المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل

تحليل... يحتاج إلى تحليل!!

القانون ثابت... جامد... لايطاله التغيير والتبديل إلا بالنزر القليل... عشرة لاعبين وخلفهم رجل برداء مختلف يقف مانعاً لجلد منفوخ من أي تجاوز للخط الأبيض...

في الجهة المقابلة هناك عشرة آخرون ورجل آخر... الغاية هي الفوز والوسيلة كل شيء متاح بالطرق السلمية والأدبية والأخلاقية إلا ما وضعه القانون ذاته من الممنوعات والمخالفات...

تتخلل المباراة مهارات وتمريرات وتسديدات ومناورات ومحاورات وجري سريع أو بطيء وراء الكرة... في المجمل والأغلب يتابع الناس الكرة بحثاً عن فوز فريقهم المفضل وبأي طريقة كانت...

لا يهم كيف ومتى نصل...المهم أن نصل... هذا يخص الأفئدة التي تترقب فوز فريقها المفضل... في الحالات المختلفة ومتابعة مباراة لا ناقة لك فيها ولا جمل تختلف لديك الرؤية تماماً... تتحول المباراة بمجملها إلى ما يتوازى مع فيلم سينمائي ممتع... تتابعها بأعصاب هادئة وأنت تحتسي كوباً من الشاي الساخن بعيداً عن أي بؤرة توتر أو ضغط أو أعصاب مشدودة...

قبل المباراة لا أحد يعرف ماذا سيحدث أو كيف ستسير الأمور... ربما أن تصويبة خاطفة تغير مخططاً بأكمله... ربما عرقلة أو إعاقة ينتج عنها حالة طرد مفاجئ تغربل كل الأوراق وتغير موازين القوى وتجعل المرشح للفوز يستجدي التعادل على أحسن الأحوال... والمتغيرات داخل المباراة أكثر من حصرها... بصورة خاطفة هناك أيضاً الإصابات وهبوط مستوى لاعب يعول عليه فريقه الشيء الكثير...

كرة القدم لعبة جماعية قد تعتمد أحياناً كثيرة على المجهود الفردي والمهارة... الحديث عنها يبدو أمراً مشاعاً ومتاحاً ومسموحاً لكل أصحابها... بعد المباراة ومشاهدتها يدلي المشجعون والمتابعون بدلوهم وكل يغني على ليلاه...

هذا أمر اعتيادي وفي كل مكان... في السنوات الأخيرة انتشرت ظاهرة التحليل الرياضي وهي عملية تفسير الماء بعد الجهد بالماء... صارت مهمة ومهنة وأصبح لها أساتذتها ومعلموها ومنظروها ورموزها رغم أن كرة القدم بالذات لاتحتاج إلى تحويلها عن مسارها وشخصيتها الشعبية بحيث توضع في نطاق التخصص الضيق والمعقد...

ليس صحيحاً أبداً أن هناك فئة أو مجموعة يصح أن يطلق عليها مجازاً بالفاهمين الكروييين في إشارة واضحة وصريحة أن لديهم قدرات فكرية أكثر بكثير من غيرهم وسواهم عندما

يحل الحديث والحوار والنقاش عن كرة القدم...

أخذت مهنة التحليل في التوسع والانتشار كالنار في الهشيم حتى غدت المنافسة حامية بين القنوات والمحطات الفضائية لاجتذاب المدربين العاطلين عن العمل واللاعبين القدامى وثلة من الإعلاميين ليقولوا للناس أشياء لايمكن تصنيفها إلا وفق الكلام الذي يسمع في المدرجات والمجالس والمقاهي الشعبية... وإلا ماذا عساهم يضيفوا ويكشفوا ويكتشفوا سراً مخبأً لم يره غيرهم...

لقد أصبح التحليل مع تطور وسائله وأدواته الفنية والإعلامية حتى خيل لنا أن المباراة بلا هذا التحليل ستكون فاقدة لأهم عناصر الجذب والتسويق والتشويق...

التحليل نفسه ما هو إلا وسيلة أخذت حقها من كرم هذه الساحرة، ويمكن القول إنه أسوأ ما أُقحم على مشاهدي ومتابعي كرة القدم، وإذا أردنا الوصول للحقيقة أكثر هناك سؤال بدائي وبسيط قد يوصلنا إلى نقطة الواقع والحقيقة: ألم يكن معظم من يمارسون التحليل الكروي سواء مدربين أو لاعبين يرتكبون عشرات الأخطاء في الملعب قبل أن يأتي بهم الزمن إلى طاولة الكلام عن كرة القدم؟. يمكن احترام التحليل إذا توقع أصحابه نتيجة المباراة وأحداثها وحركتها، أما البقاء في دائرة الكلام الذي يستطيع أن يقوله المشجع ورجل الشارع فهذا مجرد هراء وكلام لا يغني ولا يسمن من جوع.

التحليل وصل الآن وبكل جدارة إلى أن أصبح عملية تحتاج إلى تحليل وتشخيص... قبل أن يتقرر نوع الدواء... ومدة العلاج!!

هالة كرة القدم تختلف كثيراً عن بقية الرياضات.

دايف شيكتس... رجل أعمال أمريكي

جنسية واحدة.. جذور مختلفة

أسوأما تتعرض له كرة القدم هو ربطها بين حين وآخر بالهوية والوطنية رغم أنها أغنية لا لغة لها سوى الإنسان الباحث عن المتعة اللامتناهية واللامتوقفة عند حدود مضطربة بعلاقات متداخلة...

العلاقة مع الوطن علاقة وجودية لاتحكمها الشعارات والانتماءات أو حتى المصالح الذاتية... هي تلك العلاقة التي تشبه إلى حد بعيد علاقة الإنسان مع أهله وذاته وأقربائه وأصدقائه... في العالم العربي يأتي الخوض في قضية كهذه محاطاً بكثير من الحساسية المفرطة التي تتحكم فيها العاطفة بشكل مباشر،وهناك حول العالم وعبر التاريخ من كسر الحصار على هذه القاعدة وصار رمزاً ومؤشراً ودليلاً أوضح من عين الشمس بأن كرة القدم هي ذاتها وطن مستقل بذاته... ولعل قصة الأسطورة زين الدين زيدان تكفي لتكون صورة مع التحية لكلام كثير يمكن الاستغناء عنه عندما نتذكر فقط ماذا صنع وفعل هذا الجزائري في فرنسا وتاريخها وأمجادها...

هاجر إسماعيل برفقة عائلته إلى فرنسا في العام 1953م قبل اندلاع الحرب في موطنه الجزائر، وقد بحث عن العمل في سنوات شبابه ليتمكن من سد فقر أهله وذويه ومساعدة والده... استقرت العائلة في العام 1960م في مرسيليا وعمل إسماعيل كخازن في أحد المتاجر الكبرى قبل أن يستقر ويتزوج من الجزائرية مليكة، فأسس معها عائلة احتضنت خمسة أولاد كان آخرهم أحد أبرز الأساطير في تاريخ كرة القدم،اسم حُفر في ذاكرة الزمن.. طغت ساحريته الكروية على أي شيء في شخصيته وماضيه وحاضره ومستقبله...بدا وكأنه إحدى أعجوبات الزمان... صبي يدعى زين الدين زيدان...

عاش زيدان هذا سنوات طفولته في فقر شديد، وقد بدأ مداعبة الكرة حافي القدمين بسبب الفقر والعوز والحاجة... ولم يرتد زيدان حذاءً رياضياً إلا عندما بلغ سن الـ 14 في وقت كان يمر فيه والده بضائقة مادية إلا أنه لايرد طلب آخر عناقيد عائلته... فعمل إسماعيل شهراً كاملاً ليوفر المبلغ اللازم حتى يشتري الحذاء لولده... كان ذلك اليوم لحظة مفصلية في حياة زيدان الذي تحول من هاو يلعب حافي القدمين في الزواريب إلى شاب في مقتبل العمر مع حذاء وفي داخله إصرار على أن يصبح يوماً أسطورة كمثاله الأعلى الأوروجويانيإنزوفرانشسكولي...

تمر السنوات ويخلد زيدان اسمه كأحد أفضل اللاعبين في تاريخ كرة القدم... قاد المنتخب الفرنسي إلى حلم الفوز بكأس العالم، إضافة لإنجازاته وألقابه الفردية والجماعية التي تحصل عليها خلال ارتدائه لقميص بوردو في فرنسا، ويوفنتوس في إيطاليا وريال مدريد

في إسبانيا... حكاية زيدان لم تنته حتى بعد اعتزاله فهو اليوم متزوج من الفرنسية فيرونيك ولديه أربعة أولاد... وجميعهم يلعبون كرة القدم.

إن حكاية زيدان وموهبته وإنجازاته تصلح لتكون عنواناً ننطلق منه كلما أردنا الحديث عن كرة القدم والوطنية والهوية.

ومن حكاية زيدان وحكايات غيره يفترض أن كرة القدم لا تسيء لمفهوم الوطنية... الوطنية شيء كبير لكن لا يجب ولايفترض تحميلها أكثر مما تحتمل... الطبيعي أن تحب وطنك... وطبيعة كرة القدم في كل مكان أن يكون المشجع ضد الفريق الذي ينافس فريقه، فجمهور ريال مدريد مثلاً بالتأكيد وهذا ليس سراً لا يتمنى فوز برشلونة بكأس أبطال أوروبا، والعكس صحيح، لكن جمهور الناديين أيضاً يقفان بصف واحد حينما يرتدي لاعبو الفريقين شعار إسبانيا... إن كرة القدم ماهي إلا جزء من داخل طبيعة الإنسان لا من خارجه... وفي حكاية زيدان مع فرنسا أربعة أوجه لا يمكن إغفالها حتى نلامس أعتاب الفصل بين الوطنية في مفهومها الشامل وكرة القدم التي لا يمكن تسطيحها بلا ذنب اقترفته يداها... أول هذه الأوجه هو زيدان نفسه الذي كان رجل إنجاز كأس العالم بلا منازع... والوجه الثاني موطنه ومسقط رأسه الجزائر والتي يهمها زيدان ولا يعنيها كأس العالم ولا تعنيها فرنسا أو كرة القدم... أما الوجه الثالث فيمثله فرنسا وشعبها الباحث عن الفوز باللقب بيد زيدان أو غيره... وأخيراً العالم كله... هذا العالم يهمه كرة القدم ومتعتها فليس في حساباته واهتماماته من أين أتى زيدان وأين سيذهب الذهب واللقب المونديالي... يهم هذا العالم أن تكون كرة القدم رائعة ومبهرة وعظيمة... وهذا مافعله الفرنسي ذو الأصول الجزائرية زين الدين زيدان... إنها لعبة الوطنية في لعبة كرة القدم...

في عالم مسكون بقنابل الهيدروجين والنابالم ملعب كرة القدم هو مكان حيث التعقل و الأمل لايزال يتواجد من دون مضايقة.

ستانليروس...سادس رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم

لعبة الأرقام وعلم الفيزياء

في كتاب (لعبة الأرقام) طرح المؤلفان كريس أندرسون ودافيد سالي عبارة أولى لخصت ما جاء في الكتاب: "لماذا كل ما تعرفونه عن كرة القدم هو خطأ؟"، فكرة القدم اعتادت على أن تنصف من يعطيها لكنها خرجت عن هذا السياق في الكثير من المناسبات فتحولت إلى وحش ظالم... وتحدّث أندرسون وسالي عن أهمية الحظ في كرة القدم في فقرة حملت تصريحاً للنجم الأسطوري الهولندي يوهان كرويف الذي قال في أحد الأيام: "الصدفة أمر منطقي".

وقد تسبب عامل الحظ في عالم كرة القدم باختلاف في وجهات النظر لدى المتابعين... حيث جاءت خلاصة كتاب (لعبة الأرقام) لتشير إلى أن 50% من أسباب فوز فريق ما في مباراة لكرة القدم هي لأدائه في المباراة وأن الـ 50% المتبقية تبقى للحظ،لكن ومن وجهة نظر مختلفة يرى الإعلامي البريطاني جيمي سبينسير في تقرير نشرته صحيفة (هافينجتون بوست) أن اللاعب لا يُعتبر غير محظوظ عندما يصيب القائمة أو العارضة، لا بل إنه لم يكن جيداً بما فيه الكفاية ليصيب المرمى.

في شهر أغسطس من العام 2014م فازت هولي جريفيث بمبلغ 1250 جنيهاً استرلينياً بسبب رهان خاطئ، كان الموعد مواجهة سهلة للعملاق مانسشتر يونايتد مع فريق ميلتون كينيسدونز المغمور في دور مبكر لكأس الدوري الإنجليزي وكان الجميع يتوقع عبور اليونايتد دون أي صعوبات إلى الدور التالي... ومن بينهم هولي جريفيثالتي تعتبر مشجعة للشياطين الحمر... أرادت جريفيث أن تراهن على فوز اليونايتد بنتيجة 4-0 وهي نتيجة كانت متوقعة وبكثير في مواقع المراهنات، لكنه وعن طريق الخطأ وضعت رهانها على فوز دونز بالنتيجة ذاتها... ولم تضطر جريفيثإلى دفع أكثر من 2.50 جنيهاًاسترلينياًعلى هذا الرهان الذي كان بعيداً كل البعد عن التوقعات... في النهاية فاز دونز برباعية نظيفة في مباراة مجنونة وفازت جريفيث بمبلغ 1250 جنيهاًاسترلينياً... بطريقة مجنونة...

وفي العام 2009م استقبلت شباك الحارس الإسباني بيبي روبينا لنادي ليفربول واحداً من أغرب الأهداف الذي لا يمكن وصفه إلا بأنه كان عبارة عن حظ فقط... كان ليفربول في زيارة لملعب النور وفي ضيافة سندرلاند عندما أرسل اللاعب دارين بينت تسديدة كانت متجهة نحو ريينا بسهولة... لكنها اصطدمت ببالون كبير رماه أحد المشجعين على أرضية الملعب... غيّرت الكرة مجراها وسكنت المرمى وخسر ليفربول بهدف نظيف.

وفي موسم 2011-2012م توج تشيلسي بلقبه الأول تاريخياً في دوري أبطال أوروبا بعد مشوار مميز امتزج فيه تألق لاعبين كُثر وعلى رأسهم المهاجم الإيفواري ديدييهدروجبا بالإضافة إلى عامل التوفيق والحظ الذي كان مساعداً للفريق اللندني في طريقه نحو

اللقب... فبعد عبوره لدور المجموعات خسر تشيلسي أول مبارياته في مرحلة الإقصائيات وسقط بنتيجة 1-3 أمام نابولي الإيطالي في ذهاب الدور ثمن النهائي... اعتبر الكثيرون أن مشوار تشيلسي الأوروبي قد انتهى لكن العودة الكبيرة كانت في مباراة الإياب عندما فاز تشيلسي بنتيجة 4-1 على ملعب (ستامفورد بريدج) لتستمر رحلته...

وفي الدور نصف النهائي تجاوز تشيلسي عقبة العملاق الكتالوني برشلونة الذي كان أفضل أندية العالم من دون منازع، في تلك الفترة وكان تأهل تشيلسي إلى النهائي غريباً... ففي مباراة الذهاب سدد تشيلسي على مرمى برشلونة مرة واحدة فقط وسجل هدفاً وحيداً... وفي مباراة الإياب خسر تشيلسي مدافعه المخضرم جون تيري ببطاقة حمراء في الدقيقة 37... وأهدر النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي ركلة جزاء لبرشلونة...انتهت المباراة بالتعادل 2-2 بالرغم من السيطرة التامة للبرشا... وتأهل تشيلسي إلى النهائي الذي أقيم في ميونخ... وكان خصمه صاحب الأرض والمارد البافاري بايرن ميونخ... سيطر بايرن ميونخ بشكل شبه كامل على المباراة وحصل على 18 فرصة و20 ركلة ركنية مقابل واحدة فقط لتشيلسي الذي سجل هدفه الوحيد في المباراة من هذه الركلة الركنية، وبرأسية من دروجبا... استحوذ البايرن على الكرة بنسبة تجاوزت 60%، أهدر النجم الهولندي أريين روبن ركلة جزاء للبايرن في الأشواط الإضافية بعدما انتهى الوقت الأصلي بالتعادل 1-1... خسر البايرن نجمه الفرنسي ريبيري للإصابة خلال المباراة... وصلت المباراة إلى ركلات الترجيح التي ابتسمت لتشيلسي في معقل البافاري... في اليوم التالي اعتبر الإعلامي كريستيان سبيلر في صحيفة (دي تسايت) الألمانية فوز تشيلسي بغير المستحق وبالمهزلة، وأضاف أن فوز الفريق الإنجليزي سيدخل في كتب التاريخ كفوز بالصدفة... ومن ناحيتها ذكرت صحيفة (لوكيب) الفرنسية الشهيرة أن الفوز كان بمثابة المعجزة وأن أحداً لم يكن يتوقع بصراحة فوز تشيلسي باللقب...

كما اعتبر الإعلامي ماريو فولبي في صحيفة (بيلد) الألمانية أن لاعبي بايرن ميونخ تعرضوا للسرقة في عقر دارهم، فيما قال النجم الاسكتلندي الأسطوري السابق للنادي ليفربول جرايمسونيس الذي لعب 13 موسماً في الدوري الإنجليزي إن تشيلسي لن ينجح في الوصول إلى ما وصل إليه في الموسم التالي لأنه كان الفريق الأكثر حظاً في تاريخ كرة القدم... لكن سيسجل التاريخ أن بطل أوروبا في العام 2012مذهب لقبه إلى تشيلسي الذي استحق الفوز بغض النظر عن الأرقام... فهو الذي انتصر بنتائج المباريات على أفضل فريقين في أوروبا حينها... والنتيجة النهائية هي كل شيء في كرة القدم بغض النظر عن دموع الفريق الخاسر.

ويأتي فوز تشيلسي بلقب دوري الأبطال عام 2012م على رأس لائحة أكثر الأندية المحظوظة في كرة القدم الحديثة حسب تقرير لموقع (بليشرريبورت)، حيث ضمت القائمة أندية أخرى مثل بورتو البرتغالي الذي فاز بلقب دوري أبطال أوروبا عام 2004م وكيفية فوز ليفربول باللقب في العام المقبل بعدما كان متأخراً في النهائي بثلاثية نظيفة

أمام ميلان قبل تعديل النتيجة والوصول إلى ركلات الحظ الترجيحية، في مباراة شهدت تألقاً وشجاعة كبيرة من ستيفن جيرارد والحارس جيرزي دوديك... ومن بين الأمثلة الأخرى الحديثة فوز مانشستر سيتي بالدوري الإنجليزي في اللحظة الأخيرة من الموسم عام 2012م وفوز بايرن ميونخ بلقب الدوري الألماني بطريقة مشابهة في الثواني الأخيرة لآخر مباريات موسم 2001م، عندما كان لاعبو وجماهير نادي شالكة يحتفلون بفوزهم باللقب قبل وصول الأنباء المريرة.

وفي كتاب (لعبة الأرقام)... نقل أندرسون وسالي نتائج دراسات قام بها عالم الفيزياء الفلكية في جامعة (ميريلاند) جيرالد سكينر وزميله جي فريمان من جامعة (فارفيك)... حيث ألقيا الضوء على دراسة نتائج مباريات كرة القدم عبر دراسة ما حدث في نهائيات كأس العالم منذ العام 1938م وحتى نسخة 2006م تبيّن بعد الدراسات أن 50% من هذه المباريات تحسم بالحظ أو بالصدفة، وأن في الـ 50% المتبقية يفوز الفريق الأفضل... كما يعتبر أندرسون وسالي أن في كرة القدم وعلى عكس الرياضيات الأخرى... تأتي نسبة فوز الطرف الأفضل في مباراة ما منخفضة للغاية وبنسبة 55% فقط...

هذه الدراسات برفقة مثال تشيلسي في العام 2012م لا تشير فقط إلى أهمية الحظ في عالم كرة القدم... بل إلى أهمية تسجيل (الهدف)... فالمقولة المصرية الشهيرة تشير إلى أن (الكورة جوان) أو كرة القدم أهداف... فإذا لم ينجح الطرف الأفضل بالفوز... هذا لا يعني فقط أن الفريق الآخر كان محظوظاً، فهذا الفريق الآخر سجل هدفاً وهو الأمر الذي عجز عنه الطرف الأفضل... وبالإمكان التعرف على أهمية الهدف في كرة القدم عبر المقارنة ببقية الرياضات، ففي كرة السلة التي تعتبر رياضة حماسية يبلغ معدل الأهداف المسجلة من طرف واحد قرابة الـ 70 أو الـ 80 هدفاً (نقطة) في المباراة الواحدة... وقد ينجح كل لاعبي الفريق الواحد بتسجيل الأهداف في مباراة واحدة... وهذا ينطبق على مباريات كرة اليد التي تشهد تسجيل كل طرف لحوالي 25 هدفاً في المباراة الواحدة... لكن من يشاهد مباريات كرة القدم قد ينتظر 90 دقيقة دون أن يرى أي هدف أو هدفاً وحيداً حاسماً فقط... إنها لعبة الحظ والاستحقاق وبالمناصفة... هذا ما تقوله الأرقام بعيداً جداً عن الأهواء والرغبات والتحليلات...

الدول الأخرى لها تاريخها... الأوروجواي لها كرة القدم.

أوندينو فييرا... مدرب أوروجوياني سابق

إنها أغنية الفقراء... إنها أنشودة الجميع

لاشيء أكثر من كرة القدم ابتسم في وجه الفقراء والبسطاء والمعدمين... كانت لهم ملجأ ينقلهم إلى حيث الثراء السريع والشهرة الطاغية والحياة الهانئة الكريمة... الفن والتعليم والكتابة والموهبة تفعل الشيء نفسه بكل تأكيد، لكن كرة القدم هي السفير المعتمد في إنتاج هذا النوع من البشر الذي يودع الفقر ويعانق أجواء المال والثروة والملايين...

هناك عصاميون وهناك مثابرون في كافة مناحي ومجالات الحياة وعلى كامل خارطة الأرض من مشرقها إلى مغربها لولا أن كرة القدم تفتح الباب لمن هم تحت خط الفقر وتطير بهم كالنسور الجارحة في هامات الجبال...

إنها المعادلة الصحيحة والأغنية المفضلة لمن يملك موهبة ولايملك المال... وإذا كان الحديث في العالم العربي تحاصره الخصوصية البحتة في هذا الإطار الإنساني فإن في العالم أمثلة حية ترزق ودعت البؤس وجاءت إلى الحسابات والأرقام الفلكية...

يأتي هنا الحديث عن رونالدو مثلاً...فاز الأعجوبة البرتغالية كريستيانو رونالدو بجائزة الكرة الذهبية لأفضل لاعب في العالم لعام 2013م في حفل احتضنته صالة (كونجرسهاوس) وسط زيوريخ... وكانت دموع رونالدوأهم مشاهد الحفل... بالإضافة إلى والدته التي حضرت في الصالة وشاركت ابنها دموع الفرح بعدما تذكرت الكم الكبير لدموع رونالدو الفتى الذي ترعرع في بيئة فقيرة للغاية قبل أن يتحول بفعل موهبته إلى أحد أغلى اللاعبين في التاريخ وأكثرهم ترفاً.

هذا الرجل الذي يعتبر اليوم أحد أغنى أغنياء الرياضة في العالم عاش كل المعاناة عندما كان طفلاً... فهو كان الطفل الرابع في منزل دينيس ودولوريساللذين لم يبديا أي شعور بالسعادة عندما علمت الوالدة بحملها به... حيث ذهب تفكير الوالدين إلى عجزهما عن توفير الأموال اللازمة لنشأته مع إخوانه، وكان والد رونالدو عامل حدائق في بلدية فونشال عاصمة مدينة ماديرا قبل أن يفارق الحياة في العام 2005م فيما عملت الوالدة دولوريس في مجال الطبخ... لكنهما كانا عاجزين عن تأمين الطعام اللازم لهما ولعائلتهما في عدة أيام تعيسة...ويشير صديق طفولته روي ألفيس أنهما كانا يذهبان إلى المخبز قبل غروب الشمس للحصول على الخبز الذي لم يتم بيعه خلال اليوم.

بحث رونالدو عن مخرج ينقذه من حياته البائسة... كان يعيش مع أخيه وأخواته في غرفة واحدة قائمة خلت من الألعاب... كان رونالدو صاحب صيت واسع في المدرسة التي تعلم فيها نظراً لشخصيته القوية والمشاغبة في الوقت نفسه... لكنه لم يكن في أحد الأيام محباً للدراسة... تعرض رونالدو للطرد من مدرسته بعدما أقدم على رمي كرسيه باتجاه أحد

المدرسين... ويقول رونالدو عن الحادثة: المدرس لم يحترمني... وحاولت والدته العثور على مدارس أخرى وكان له تجارب في عدد منها لكنه توقف نهائياً عن الدراسة عندما بلغ الـ 14 من العمر ليركز كلياً على كرة القدم التي شغلت ذهنه قبل سنوات عدة.

بدأ هوس رونالدو لكرة القدم منذ الصغر... وجد في هذه الرياضة متنفساً ينسيه طفولته الصعبة والمأساوية، وأظهر الطفل إمكانيات مميزة في كرة القدم قبل أن يرافقه والده إلى أكاديمية فريق أندورينيا المغمور عندما بلغ السابعة من العمر... ويقول المدرس فرانسيسكو أفونسو الذي كان أول من درب رونالدو إن كريستيانوامتلك رغبات جامحة في كرة القدم منذ أن كان صغيراً...وإنه بدأ كمدافع قبل أن ينتقل إلى مركز متقدم نظراً لرغبته في المشاركة بكل شيء على أرض الملعب...واعتبر أفونسو أن رونالدو أسس تقنية عالية منذ الصغر بسبب مواظبته الدائمة على التمارين ويقول أفونسو: كرة القدم كانت كل شيء بالنسبة له... وإذا ما كان أفونسو هو المدرب الأول لرونالدو فإن كرة القدم بلا شك كانت الصديقة الأولى والدائمة له والتي لم تفارقه يوماً.

ولفت رونالدو عندما بلغ السابعة عشرة من عمره أنظار مسؤولين في نادي ناسيونال... أشهر أندية مدينة ماديرا التي كان يعيش فيها... لكن اللحظة المفصلية الأهم في مسيرته انتقاله بعد أيام للعب في أكاديمية سبورتينج لشبونة أشهر أكاديميات كرة القدم في البرتغال...وذلك بعدما عرضه قاضي مدينة ماديرا جوا وديفريتاس على كشافة النادي الشهير... وأبدت والدة رونالدو سعادتها بانتقال ولدها إلى العاصمة وخاصة إلى نادي سبورتينج حيث كانت شخصياً من مشجعي هذا النادي الذي لعب له مثلها الأعلى في كرة القدم لويس فيجو... ويعتبر رونالدو اللاعب الوحيد في تاريخ نادي سبورتينج الذي لعب مع كافة فرق الفئات العمرية إضافة إلى الفريق الثاني قبل الوصول إلى الفريق الأول عام 2002م... بعدها توالت حكايات المجد سريعاً حتى بات أغلى وأفضل لاعبي العالم لارتدائه قمصان مانشستر وريال مدريد واليوفي...

وفي جهة أخرى من العالم ولد النجم الأرجنتيني كارلوس تيفيز في ضاحية فويرتي أباتشي الأرجنتينية... وهي منطقة معروفة بفقرها الشديد ومعاناة أهلها، وترعرع تيفيز في بيئة يسودها العنف والجوع والجرائم والمخدرات... لكنه اختار أن يسلك طريقاً آخر وجد فيه السبيل للانتقال من حياته البائسة كطفل عندما بدأ ممارسة كرة القدم فتحولت في نفسه إلى عشق دائم حتى أصبح لاعباً محترفاً ذا شهرة واسعة في الأرجنتين قبل أن ينتقل إلى القارة الأوروبية ويلعب لأحد الأندية هناك... ويرفض تيفيز عدم الاعتراف بأصله... كما أنه يرفض التخلص من العلامات والندوبات في وجهه جراء تعرضه لإصابات قوية عندما كان طفلاً في حوادث بعيدة عن عالم كرة القدم حيث إنه عانى من ندوب كبيرة وحروق في وجهة ورقبته عندما تعرض لحادث وهو في الشهر العاشر من عمره...

وأيضاَ كسر البعض من أسنانه في عراك... ومنذ احترافه مع بوكا جونيورز أحد أشهر الأندية في القارة الأمريكية الجنوبية وحتى انتقاله إلى أوروبا واللعب في أندية كبيرة مثل مانشستر يونايتد ومانشستر سيتي في إنجلترا ويوفنتوس في إيطاليا أصبح تيفيز لاعباً في قائمة أغلى اللاعبين في العام خلال العصر الحديث...

أما قصة نجم جنوب إفريقيا ستيفن بينار أكثر صعوبة ودرامية من لاعبين فقراء كثر... ولد ستيفن في منطقة ويستبوري على حدود مدينة جوهانسبيرج خلال فترة نزاع دام بين السود والبيض في جنوب إفريقيا... حيث إنه كان يشاهد التلفاز عندما كان صغيراً مستلقياً على الأرض بطلب من والدته... لأن جلوسه على الكنبة يعني وصول الأعيرة النارية الطائشة إليه وإلى أفراد عائلته... وفقد بينار في طفولته صديقاً مقرباً بطلق ناري... كما أنه كان قريباً من مواجهة المصير الأسود نفسه عندما تعرض لحادثة مماثلة نجا منها بأعجوبة... تجاوز بينار كل الصعوبات التي عاشها في طفولته، فلعب لأياكس كايب تاون أحد أشهر الأندية في جنوب إفريقيا قبل أن ينتقل إلى القارة الأوروبية ليمضي تجارب عدة أبرزها مع أياكس الهولندي ودورتموند الألماني وإيفرتون الإنجليزي.

هناك أيضاً لاعب لم يخرج من دائرة الفقر ليتذوق طعم الغنى مع كرة القدم...بل هي قصة لاعب نجا مع عائلته من الموت قبل أن يعيش طفولته ويبدأ مسيرته الكروية... ففي غينيا الاستوائية تجرأ السياسي المعارض فالنتين بيسان إيتام على انتقاد حاكم البلاد الديكتاتور فرانشيسكو ماسياسنجوما أمام العلن في العام 1977م علماً أن الأخير كان حاكماً طاغياً قبل أن يصدر ضده 101 حكماً بالإعدام عام 1979م بعدما اتهم بجرائم القتل الجماعي والتلاعب بالمال العام ومخالفة قوانين حقوق الإنسان... وتعرض فالنتين للسجن أثناء حكمنجوماوصدر بحقه حكم بالإعدام لكنه تمكن من الفرار إلى الكاميرون مع أولاده وزوجته التي كانت في تلك الفترة حاملاً بالنجم الكاميروني المعروف لورين إيتام والذي لعب خلال مسيرته الكروية مع أندية عريقة في أوروبا مثل مايوركا الإسباني وآرسنال الإنجليزي...

ويقول لورين إنه ما كان ليبصر النور ويخرج إلى الحياة لولا تمكن عائلته من الهرب... علماً أن معاناته استمرت حتى بعد انتقال العائلة لاحقاً إلى إسبانيا... حيث عاش في ظروف صعبة مع 14 أخاً وأختاً في ضاحية مونتيكيتو الفقيرة في مدينة إشبيلية.. لكن حياة لورين انقلبت رأساً على عقب بفضل كرة القدم، حيث انتقل في العام 2000م إلى آرسنال الإنجليزي بصفقة وصلت إلى اكثر من 7 ملايين جنيه استرليني كما أنه أصبح لاعباً مشهوراً ومحبوباً في الكاميرون من خلال تمثيله للمنتخب الوطني في 24 مناسبة.

وأخيراً لابد أن نتذكر ميسي وحياته...كانت سيلياكوشيتيني تنتقل من منزل إلى آخر لتنظف أرضيات الغرانيت لدى الأغنياء وتغسل ملابسهم بغية تأمين لقمة عيشها... وتمنت أن ترتقي بمعيشتها إلى مكان آخر عندما تعرفت على عامل الحديد البسيط هوراسيو...

وبعد حين وخلال حفل صغير في أحد أزقة مدينة روزاريو الأرجنتينية تزوج هوراسيو وسيليا فعاشا حياة بسيطة كان فيها الكثير من المصاعب لكنهما بحثا دوماً عن السعادة حتى جاء يومهما الأسعد عندما رزقا بالطفل رودريغو الذي تلاه ولدان اثنان وابنة وحيدة اسمها ماريا شكلت آخر حبات العنقود الخاص بهذه العائلة... عادت المعاناة إلى هوراسيو وسيليا مع ولدهما الثالث الذي كان يعاني من مرض قد يؤثر على حياته... فقد اكتشف الأبوان أنه يعاني من نقص في هرمونات النمو...حاول هوراسيو جاهداً إنقاذ ولده إلا أنه لم يتمكن من تأمين تكلفة العلاج لابنه والذي كان يبلغ حوالي 900 دولار شهرياً، وحاولت العائلة كثيراً البحث عن منقذ.. لكن هذا الولد قرر إنقاذ نفسه بنفسه عن طريق كرة القدم.

قام أحد أقارب العائلة بالاتصال بكارلوس ريكساش المدير الرياضي لأحد أعرق أندية كرة القدم برشلونة... عولج الولد هناك وبدأ مسيرته الخيالية في الملاعب... هذا المريض ليس سوى ليونيل ميسي... الإنسان الذي حوّل النقص إلى أمر فاق الخيال... وحوّل الفقر إلى ثراء فاحش... والمرض إلى قدرة جبارة وعناء الطفولة إلى إبداع لا حدود له... كله عن طريق الساحرة المستديرة... إنها رحلة عابرة لفقراء تحولوا إلى الثراء والشهرة والنجومية والأضواء بحضور السيدة كرة القدم... حفلة تستحق أن يعاد مشاهدتها أكثر من مرة...

أن تكون لاعب كرة قدم يعني أن تكون مترجماً ذا امتياز لمشاعر وأحلام آلاف الناس.

سيزار لويسمينوتي...مدرب أوروجوياني سابق

سلاح من كتف إلى كتف

للتعصب مع كرة القدم قصة يطول أمدها وتمتد حبالها وتتسع رقعتها حتى يبدو لك أن الحديث عن كرة القدم لايمكن أن تكتمل أوصافه دون استحضار الممارسات المتعصبة والتصرفات المتفلتة والخروج عن المألوف وتجاوز الخطوط الحمراء، بالرغم من أن تعريف التعصب ظل وسيظل كاللغز العصي على الحل والطلاسم التي لايعرف لها حلحلة... وعقدة بقيت أسيرة خيوط متشابكة يستحيل تفريقها... وحتى الاتحاد الدولي لكرة القدم فيفا ترك العملية هائمة على وجهها فلم يجتهد باعتماد تعريف للتعصب الرياضي الذي يعيش مع كرة القدم كما تعيش الأزهار مع عبيرها والأشجار مع ظلالها والشمس مع أشعتها... كأن فيفا نفسه لديه يقين لا تخالجه الشكوك أن بضاعته المزجاة لا يمكنها التسلل بين اهتمامات البشر دون التعصب الذي يقال إنه أسوأ مافيها...

والصحافة الرياضية جعلت من التعصب كالبنادق التي تنتقل من كتف إلى كتف في حرب أهلية طاحنة دون فرض أي هدنة أو تهدئة أو إطلاق حمامة سلام تجوب فضاء كرة القدم الشاسع والواسع... فكرة القدم بريئة من التعصب لسبب بسيط أن التعصب مرتبط بالسلوك لا بقواعد أو قوانين اللعبة...

ما هو التعصب...؟! لا إجابة وافية ولا معرفة قاطعة ولا كلمة فصل جاهزة لإنهاء الجدل المثار منذ عشرات السنين... استمرت الانعكاسات واستمرت الحرب على هذا التعصب بلا هوادةوبلارحمة، لكنها استمرت أيضاً كالذي يقاتل الأشباح في غابات موحشة مظلمة فعاد المحارب خاسراً يجر أذيال الهزيمة... والتاريخ يحتفظ بذاكرته الفولاذية بأيدٍحديدية دموية رفضت أن تستمر كرة القدم لعبة الفن والذوق والأخلاق كما يسعى أصحابها لتسويقها بهذه الشعارات بين الحين والآخر.

هذا التاريخ لن ينسى أحداثاً قد نصفها ونصمها بالتعصب إذا أردنا التخفيف من وطأتها على النفس والذاكرة معاً.

في أقاصي العالم اختلطت أحداث مباراة كروية بالسياسة فتحولت بسرعة البرق إلى الحرب والدمار والموت والضحايا... والقصة تعود إلى عام 1970م الذي شهد الحادثة الأعنف في تاريخ اللعبة حينما التقى منتخباهندوراس والسلفادور في مواجهة حاسمة لتحديد اسم المشارك والمتأهل إلى نهائيات كأس العالم المقامة في الأرجنتين ضمن تصفيات قارة أمريكا الجنوبية...وكان مهاجم هندوراس صاحب اليد الطولى في إشعال فتيل المعركة بين الدولتين عندما سجل هدف الفوز في الدقيقة القاتلة والأخيرة لتعلن السلفادور الحرب وتحلق طائرتها الحربية وتقصف المدن والمنشآت الهندوراسية في حرب مشتعلة استمرت مائة ساعة خلفت وراءها أكثر من أربعة آلاف قتيل وأكثر من اثني عشر

ألف جريح وتدمير آلاف المنازل والمساكن، وفقد أكثر من خمسين ألف شخص مكان إقامتهم بسبب تداعيات الحرب التي أشعلتها نتيجة مباراة.

وفي الشمال الشرقي لمصر وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط قبالة مدخل قناة السويس ترقد مدينة بورسعيد التي شهدت بأم عينها أقسى حادثة كروية عرفتها أم الدنيا طوال حياتها وعمرها المديد الضارب في أعماق الزمن والتاريخ... فبعد مباراة جمعت الأهلي القاهري أمام مستضيفه المصري اندلعت أحداث شغب مجهولة المصدر في المدرجات وقف الأمن عاجزاً عنإيقافها، وراح ضحيتها ما يقارب الأربعةوسبعين قتيلاً لتتضارب الآراء والأنباء حول الأسباب التي أشعلتها وذلك في عام 2012م...

وفي الإطارنفسهوإنبصور مختلفة وزوايا مغايرة هناك أحداث تدمي القلوب تستنسخ بعضها بعضاً وتسبح جميعها في مجرىتلك السحابة القاتمة المدعوة بالتعصب الذي يعيش ويتراقص على أنغام الكرة دون رؤيته أو معرفته أو الجلوس معه لأنه نجح في ارتداء طاقية الإخفاء وارتداء قناع صنع في مكان غامض ولم يعرف منه سوى اسمه...

فهذا هو التعصب اسمبلامعنى وصوت بلاصدى.. ودماء وضحايا وقتلى يبرئون تلك الكلمات النابية والعبارات الجارحة والخادشة للحياء... فالتعصب كلمة تسللت وعاشت ونمت وترعرعت ونشأت وكبرت في ردهات الملاعب ولم تغادر أبداً...

هذه أمثلة لأحداث أنتجتها وأفرزتها مباريات كرة القدم... هذا ليس هو التعصب الذي تتناقله الألسنة وتتقاذفه الجماهير كل يتهم فيه الآخر...

هذا سلوك بشري نشاز ذهب بعيداً عن كل الأعراف الإنسانية الطبيعية فلا يمكن القياس عليه أو جعله نتنيجة حتمية كما يمكن تعريفه مجازاً بالتعصب الرياضي...

يتجدد السؤال ما هو التعصب وما قيمته وأين مكانته في عوالم كرة القدم...؟ أما الإجابة فالتعصب قد يمكن تعريفه بالحب أكثر من اللازم في أفئدة البشر تجاه أنديتهم الكروية... يمكن لشخص وبكل أريحية وافتخار القول والاعتراف بأنه متعصب... يريد من ذلك القول بأنه محب وعاشق وملهوف بناديه حد تعلق لا فكاك منه... يريد القول بأنه محب عظيم لا أكثر ولا أقل... بهذا السلوك وهذا الارتباط أصبح لكرة القدم قيمة إنسانية واجتماعية تفوق كل المحاولات التي تسعى لحشرها كمجرد لعبة رياضية يبالغ الناس في التعاطي معها... لا تعريف واضح للتعصب... لكن يمكن القول وبقوة ووضوح وصراحة أن كرة القدم بلا ذاك التعصب المتعارف عليه في أذهان الرياضيين والذي يحيط الناس بعلاقة خاصة جداً مع كرة القدم لا يمكن أبداً تخيل هذه اللعبة دون تعصب ودون حب وعشق يفوق الأوصاف...

التعصب بمفهومه الرياضي الطبيعي هو أهم أسلحة بقاء ونماء وانتشار ونفوذ كرة القدم... بلا تعصب ستصبح كرة القدم مجرد حفلة تعلو فيها الصرخات الساذجة التي لا قيمة لها

سوى بقدر الصوت المرتفع... جاء ارتباط التعصب بكرة القدم على ما يبدو فقط كون هذه اللعبة هي المرآة الأكبر العاكسة للسلوك الإنساني واختبار الناس في تعاملهم مع الأشياء من حولهم... أما هي فليس لها ذنب أبداً بأي تصرف يتجاوز الحدود...

كيل الاتهامات وتحميلها المسؤولية كاملة يتطلب الاعتذار من كرة القدم على ذلك السيل الجارف من قذفها ومظلوميتها بكل تلك الأقاويل التي جعلت منها حبيسة في أغلال لم تفصل على مقاساتها...

إثارة التعصب ثم ربطه بكرة القدم بمفهومها الشمولي الكبير والعميق في حياة الناس إنما هو التعصب لفكرة مخادعة وكاذبة وبعيدة تماماً عن الحقيقة... لو نطقت كرة القدم لطلبت الإنصاف ومحاكمة كل من يتهمهما بالتعصب وإثارة هذا الجدل وهذا اللفظ الذي لن ينتهي...!!

كرة القدم تؤثر في المجتمعات أكثر بكثير من أثرها على أرض الملعب.

براند يشاستاين...لاعبة أمريكية سابقة

ليست مجرد لعبة

نظن أن أولئك الذين يرون أن كرة القدم ما هي إلا جلد منفوخ تركلها الأقدام فوق العشب الأخضر انقرضوا ولملموا بضاعتهم وأصبحوا من إرث الماضي وأنقاض زمن صار في عداد الأحلام المنسية.

لم تكن كرة القدم مثل تلك الجامعات العريقة التي تقدم المنح المجانية دون تمييز بين طالب متفوق أو آخر بطيء الاستيعاب، وبين ابن عائلة ثرية وآخر قادم من بيئة كادحة بسيطة.

هي في واقع الأمر تستنطق متناقضات الحياة... وتجمع المتفرقات... ولها علاقة وثيقة بالإنسان والزمان والاقتصاد،فالذينيستصغرونهالايعرفون حجم مداخيلها ومدخلاتها وقوتها وسطوتها على اقتصاد العالم الذي كان دخول كرة القدم إليه ليس وليد اليوم والأمس كما قد يعتقد من يحكي عن العلاقة المالية المتوثقة مع اللعبة...

في نهاية القرن التاسع عشر شهدت بريطانيا أول عملية ربحية من نوعها في هذا المحيط من خلال مداخيل تذاكر المباريات التي استمرت والتقليد للأندية والاتحادات منذ ما يقارب المائة عام، وظلت تلك الأندية خاصة العريقة منها وصاحبة الشعبية الجارفة تعتمد بشكل مباشر على عوائد التذاكر التي تتصاعد قياساً بمستوى الحضور الجماهيري...

وتتفاوت حتى اليوم هذه العملية الحسابية بين منافسة وأخرى ودولة وأخرى وبطولة وأخرى... فالحضور الجماهيري في ألمانيا يعتبر الأعلى لولا أنه خادع من الناحية المالية وذلك بسبب انخفاض أسعار التذاكر نسبياً في ألمانيا مقارنة بالدوري الإنجليزي مثلاً... فقيمة تذكرة درجة أولى لحضور مباراة لآرسنالعلى ملعب الإمارات قد يكلف خمسين جنيهاًاسترلينياًبينما لن يزيد سعر حضور مباراة أخرى لفريق دورتموند في ألمانيا على ملعب سنغال أيدونا بارك أكثر من تسعة جنيهاتاسترلينية... وتعد تذاكر الدوري الإنجليزي الأعلى صعوداً في أسعارها، فحينما تولى أليكس فيرغسون قيادة مانشستر يونايتد عام 1986م لم يكن سعر تذكرة مقعد عادي في ملعب أولدترافورد الثلاثة ونصف جنيه استرليني، وبمرور عشر سنوات تضاعف المبلغ إلى ما يقارب المائة بالمائة حتى وصل إلىأن لا يقل سعر أدنى تذكرة في هذا الملعب عن ثمانية وعشرين جنيهاًاسترلينياً.

واعتادت الأندية وبالذات الإنجليزية على رفع سعر التذاكر قياساً بحجم ووفرة النجوم فآرسنالرفع سعر التذكرة بستة بالمائة عقب تعاقده مع الألماني أوزيل في محاولة لتحقيق نوع من التوازن الاقتصادي بين الإيرادات والمصروفات، وبالطبع سيتحمل المشجع جزء من التكلفة كونهشريكاًغير معلن في عملية أي خسارة أو صرف تقدم عليه إدارات الأندية..

ثم وصلت الأندية إلى عمق العمل التسويقي والإعلاني من خلال ما يسمون في عالم الكرة بالرعاة الذين يعدون الآن الركيزة الأساسية لمحور اقتصاد أي نادٍ حول العالم، وتحرص بالقدر نفسه الشركات المعلنة التي يهمها الوصول إلى أكبر قدر من المتابعين والناس بالارتباط مع أندية كبيرة وشهيرة خاصة إذا تذكرنا فقط أن مباراة برشلونة ومانشستر يونايتد على نهائي دوري أبطال أوروبا 2011م تجاوزت نسبة مشاهدتها سبعين مليون مراقب ورياضي...

ولرؤية وجه آخر في العملية الاقتصادية للأندية تبرز تجربة طيران الإمارات كعلامة رائدة في مجالها حول العالم وكيف ارتبطت بعدة أندية عريقة مثل ريال مدريد الإسباني وآرسنالالإنجليزي وباريس سان جيرمان الفرنسي وميلان الإيطالي... ففي علاقتها مع الفريق الإنجليزي تظهر كراعٍ رئيس على قمصان اللاعبين، إضافة إلى أنها اشترت حقوق إعادة تسمية ملعب آرسنالالصالح علامتها التجارية عبر بناء ملعب جديد بقدرة استيعابية واسعة يحمل اسم الشركة ليكون مشهوراً ومعروفاً في الأوساط الرياضية بملعب الإمارات الذي جعله يوفر مبلغ الرهن العقاري السنوي البالغ خمسة وثلاثين مليون يورو بعقد يمتد بين الطرفين لمدة خمسة عشر عاماً مقابل 152 مليون يورو قيمة المبلغ الإجمالي لحقوق شراء إعادة تسمية الملعب ورفع شعار الشركة كراعٍ أساس للنادي في جميع البطولات على قمصان اللاعبين، وهناك اشتراطات وامتيازات وتحفيزات أخرى كثيرة ترتبط بين الطرفين، وتتصدر قائمة الامتيازات المكافآت المالية عن المشاركة أو الفوز بأي بطولة وفي حال عدم تحقيق تلك الشروط فإن الراعي قد يسحب دعمه بنسبة 20%...

واعتادت الأندية على التعاقد والارتباط مع رعاة ثانويين لسد هذه الفجوة التي قد تحدث أزمة مع الراعي الرئيسوتأتيحقوق وعائدات البث والنقل التلفزيوني التي أصبحت هي الأخرى رافداً حيوياً مغرياً للأندية،فريالمدريد وبرشلونة مثلاً يحصدان مايقارب نصف عائدات البث التلفزيوني في الدوري الإسباني وهو ما يعينهم ويساعدهم على الوفاء بمستلزمات وسداد صفقات الانتقال الكبيرة والضخمة التي تبرمها إدارات الناديين والرواتب المرتفعة جداً...

وتترك بقية الأندية تتقاسم نصف الكعكة الأخرى ويحصل الريال والبرشا على مايقارب من 140 مليون يورو سنوياً لكل منهما، فيما هناك أندية وفي المسابقة نفسها لاتزيد عن 12 مليون يورو وفي أحسن الأحوال 40 مليون يورو...

وفي المرتبة الرابعة من دخل العائد الاقتصادي تأتي المنتجات والمبيعات التجارية كالمنتجات والأدوات والقمصان والشعارات، وهذه فيها تفاوت كبير بين كبار أندية أوروبا نفسها، وترتبط هي الأخرى بحال ومستوى الفريق ومشواره في طريق الانتصارات والبطولات والنجوم.

وتصدر ريال مدريد الإسباني نهاية عام 2014 قائمة الأندية الأعلى دخلاً وإيرادات للعام العاشر على التوالي، وذلك وفق تقرير مالي سنوي نشرته شركة الخدمات المهنية المعروفة بريلويت وأعلنت خلاله أن إيرادات ريال مدريد بلغت 549 مليون يورو، وأشار التقرير نفسه أن الريال حقق بفضل بيع التذاكر 118 مليون يورو وحقق من إيرادات البث التلفزيوني ومشاركته في دوري أبطال أوروبا 2014 مليون يورو فيما بلغت إيراداته في مجال التسويق 231 مليون يورو.

ويأتي مانشستر الإنجليزي في المركز الثاني بدخل قدره 518 مليون يورو، وبايرن ميونخ الألماني ثالثاً بمجمل دخل 487 مليون يورو، فيما بلغ دخل برشلونة في المركز الرابع 484 مليون يورو، بينما احتل فريق غلطة سراي التركي المركز الثامن عشر بدخل بلغ 161 مليون يورو. وقالت مجلة فوربس الأمريكية المتخصصة بالمال والأعمال إن قيمة ريال مدريد السوقية بلغت 3.44 مليار دولار كأغلى أندية العالم، وفي المركز الثاني منافسه التقليدي برشلونة بقيمة 3.2 مليار دولار، وثالثاً مانشستر يونايتد الإنجليزي بقيمة 2.81 مليار دولار.

وفي مجال آخر أصبح يدر هو الآخر الملايين على الأندية، تحكي الأرقام المولودة من رحم الأنترنت قصة جديدة من نهر سيتدفق على مداخيل الأندية في السنوات المقبلة، ففي عام 1888م كان اللاعب الاسكتلندي ويليام ماكجريجور أول من وصف كرة القدم بالـ (تجارة الضخمة)، لم يأخذه أحد على محمل الجد حينها أو السنوات الكثيرة التالية... لكن الكثيرين عادوا ليتذكروا ما قاله في السنوات الماضية.

قبل سنوات طلب المدراء التنفيذيون في (فيسبوك) من فريق إدارة الأعمال الخاص بالنجم البرتغالي كريستيانو رونالدو إطلاق صفحة خاصة به... حيث اعتبروا أنه من الضروري لهذه الصورة الرياضية العالمية أن يكون لها صفحة في (فيسبوك)، وأكدوا لفريق رونالدو أن الأخير يمتلك القدرة على الحصول على 10 ملايين متابع لصفحته. في ذلك الحين رد الرئيس التنفيذي لشركة (بولاريس) التي تدير الحقوق الصورية لرونالدو بالرفض... معتبراً أن الرقم الذي طرحه المدراء في (فيسبوك) كان مبالغاً فيه حيث رد قائلاً: "نحن لا نؤمن بكم فهذا هو حجم البرتغال"...

وفي العام 2009م افتتح رونالدو صفحته الرسمية في (فيسبوك) ونجح قبل نهاية العام 2014م في الحصول على 100 مليون متابع، كما أنه يحظى بعدد متابعين لحسابه في (تويتر) أكبر من متابعي حسابات (سي أن أن) و(نيويورك تايمز) معاً.

يعتبر رونالدو واحداً من أبرز الأمثلة على دور كرة القدم في بذخ كافة الأرقام على مواقع التواصل الاجتماعي، فقبل العام 2010م لم يكن لمعظم الأندية العالمية أي حساب على (فيسبوك) أو (تويتر) أو (إنستاجرام) أو غيرها من مواقع التواصل، لكن الحكاية تغيرت

في يومنا هذا حيث أصبح لكرة القدم عالمها الخاص والكبير (جداً) في عالم هذه الوسائل... وذلك لأن المشجع الحقيقي يرغب في الاطلاع لحظة بلحظة على أخبار ناديه... وأن المشجع العادي سيطلع على هذه الأخبار ولو بالصدفة أثناء تصفحه لوسائل التواصل التي يزورها يومياً لأكثر من 10 مرات على الأقل... وهذا يؤكد أن تواصل المشجع مع معشوقتهالمستديرة أصبح أسهل بكثير من السنوات الماضية... والمقصود هنا قبل تطور الإنترنت والأجهزة الذكية وطرق بث المباريات،فمنذ زمن كان المشجع يطلع على نتيجة فريقه في مباراة الأمس عبر سطر وحيد في صحيفة ورقية أو عبر خبر بسيط غير مصور في نشرة الأخبار المسائية.

ولا تعتبر الأرقام الخيالية التي يحظى بها لاعبو وأندية كرة القدم مجرد أرقام لمتابعين... لا بل إنها تشكل دورة تجارية ضخمة تبدأ من دورة صغيرة لمشجع، فعلى سبيل المثال هناك حتماً مشجع لنادي بايرن ميونخ الألماني في الصين يقوم بتصفح أخبار ناديه عبر صفحات الإنترنت ويمتلك عدداً كبيراً من الملابس والأوشحة والإكسسوارات الخاصة بالفريق... ويعمد إلى مشاهدة مباريات الفريق في استراحة مع شاشة كبيرة... علماً أن الأرباح التي يجنيها بايرن ميونخ من هذا الصيني تبلغ (صفر) يورو، وأن بايرن ميونخ لا يعرف بتواجد هذا المشجع أساساً... لكن الأمر اختلف كثيراً مع وسائل التواصل، حيث بدأت الأندية الأوروبية الكبيرة بجني المشجعين من الصين والهند وإندونيسيا والولايات المتحدة الذين يمثلون 45% من سكان الأرض،وعندماسجل اللاعب الأرجنتيني أنخيل دي ماريا هدفاً لمنتخب بلاده في مرمى سويسرا خلال نهائيات كأس العالم في البرازيل عام 2014م أقدم متصفحو موقع البحث (جوجل) على طباعة اسم دي ماريا أكثر بـ 4 مرات من مواطنه الفاتيكان البابا فرانسيس، وعندما أعلن الحكم عن بداية مباراة ألمانيا والولايات المتحدة في البطولة نفسها... بحث الأمريكيون على الإنترنت عن هذه المباراة أكثر من أي شيء آخر...

وفي العام 2010م بحث سكان الأرض عن نهائيات كأس العالم لمرات أكثر بكثير من أولمبياد لندن عام 2012م وبطولة (سوبر بول) الأمريكية الشهيرة وطواف فرنسا معاً... ولاشك أن مواقع التواصل تفضل حسابات كرة القدم عن غيرها من الحسابات... حيث إن فريق كرة القدم يحظى بوفاء كبير من مشجعيه، ما يعني أن حساب الفريق سيحظى بوفاء دائم من متابعيه، على عكس الشركات التجارية الكبرى،ففريق مانشستر يونايتد الإنجليزي يحظى بعدد متابعين لحسابه أكبر من المتابعين لحسابات شركتي (ماكدونالدز) و(نايكي).

وتشير التقارير إلى أن الأندية تستفيد مادياً من حساباتها في مواقع التواصل الاجتماعي التي تستفيد بدورها، وأن الشركات التجارية أصبحت تعمل كثيراً على التواصل مع الأندية لنشر (شبه) إعلانات على حسابات الأندية بعد الاتفاق معها... فتقديم هدية عبارة عن سيارة (أودي) عن طريق حساب نادٍ ألماني سيصل إلى أكثر من 10 ملايين شخص يتابعون هذا النادي، وإقدام اللاعب ريو فيرديناند على نشر صورة عبر حسابه في (تويتر)

وهو يفتح لوح شوكولا (سنيكرز) لم يكن صدفة. هذه التصريحات لا تعكس الحقيقة فالأندية الكبرى جعلت من مواقع التواصل الاجتماعي جزءاً لا يتجزأ من مصدر رزقها فلم يعد غريباً أن يُطلق ناد ما حساباً رسمياً له باللغة الإندونيسية... كما أن هذه الأندية بدأت العمل على التعاقد مع صانعي أفلام قصيرة ومحررين مختصين لمواقع التواصل وصحافيين من بلدان ولغات مختلفة... حيث يؤكد مدير الإعلام الرقمي في نادي بايرن ميونخ ستيفان مينيريخ أن النادي أصبح كذلك شركة إنتاج مع مرافقة فريق وسائل التواصل الاجتماعي للفريق في كافة محطاته في الفنادق والملاعب والتدريبات والمباريات عند كل سفر.

وبالرغم من دخول الأندية إلى عالم التواصل يبقى هناك حذر شديد نحو عدة أمور حيث أعلن على سبيل المثال في إحدى الندوات عن تخوفه وحذره من (فيسبوك) وهذا ما يفسر دخول اليونايتد إلى عالم (فيسبوك) في العام 2010م، وإلى (تويتر) وبعدها بسنتين كما أن المدير الفني الفرنسي السابق لنادي آرسنال أرسين فينجر عبّر عن تخوفه من (تويتر) والتغريدات التي تتطرق إلى أمور لايجب أن تخرج من النادي...

ولعل أسباب هذا التخوف تعود إلى أن اليونايتد هو أقوى المستفيدين من البث التلفزيوني في بريطانيا ككل، وأن الحسابات في مواقع التواصل معرضة للسرقة وعرضة للفضائح وأن البعض من الرياضيين قد يقع في فخ التغريدات والتعليقات السلبية والهجومية حيث عاقب الاتحاد الإنجليزي على سبيل المثال 60 لاعباً أو مدرباً أو مسؤولاً في كرة القدم منذ العام 2011م وحتى العام 2014ملهذه الأسباب، لذلك وعلى سبيل المثال أيضاً لا يقوم رونالدو بكتابة تغريداته شخصياً حيث يقوم بإرسال ما يريد كتابته إلى المسؤولين عن صفحته ليقوم هؤلاء باختيار الكلمات المناسبة كما يقول المسؤول في نادي فلوفسبورج الألماني توماس روتجيرمانإن وسائل التواصل الصناديق السوداء لأن الهدف من نادي كرة القدم هو ممارسة كرة القدم فقط وليس أموراً أخرى.

وفي تقرير لمجلة (فوربس) العالمية الشهيرة والمعنية بالتقارير المالية والصناعية والتجارية والاستثمارية بتاريخ الخامس من سبتمبر من العام 2014م تبين أن الأندية الأوروبية تستفيد بشكل هائل من كل متابعة لشخص (فيسبوك) أو (تويتر)... لاسيما الأندية الألمانية التي تصدرت لائحة أفضل 20 نادياً يستفيد من عوائد تجارية من مواقع التواصل الاجتماعي، وجاء نادي هامبورج الألماني في المرتبة الأولى بعدما كشف تقرير (فوربس) أن هذا النادي يحصل من مشجع واحد في مواقع التواصل الاجتماعي على أرباح تصل إلى حوالي 117 دولاراً...

ثم نادي شالكة الألماني الذي يربح ما قيمته 54 دولاراً على المتابع الواحد مقابل 30.63 دولاراً لباريس سان جيرمان الفرنسي، و21.21 دولاراً لنادي إنترميلانو الإيطالي، و20.12 لنادي بايرن ميونخ الألماني، ولعل الغريب في الأمر أن قائمة العشر الأوائل لم تضم أسماء

لأندية عريقة مثل ريال مدريد وبرشلونة ومانشستر يونايتد وتشيلسي وآرسنال... حيث احتل اليونايتد المركز 16 برصيد من الأرباح يصل إلى 4.82 دولار من المتابع الواحد وجاء ريال مدريد في المركز 17 برصيد 4.59 فيما احتل برشلونة المركز 20 برصيد 3.18...

هذا فصل بسيط من حكاية كرة القدم وأهلها مع المال والثروة... فهل هناك من لايزال مصراً على رأيه بأنها ليست سوى لعبة وليست سوى جلد منفوخ؟

كرة القدم هي الأوبرا التي يعزفها البشر جميعاً.

ستافورد هيجينبوثام...رئيس نادي برادفورد الإنجليزي سابقاً

عرس تحول إلى جنازة

لاتهتم بكل ما يفعله وينشره البرازيليون من ثقافة الفوز وقدرتهم على صناعة النجومية والفرح والسعادة وسط محيط وعوالم كرة القدم... فجراحهم لن تندمل... ومصابهم لم يخف ويجف ويهدأ، فمنذ 65 عاماً ولاتزال الذاكرة المظلمة تخيم على البرازيل الصفراء مهما تعددت ألوان الفرحة وتتابعت ذوائق البهجة في بطولة هنا أو هناك لأن ما حدث ذلك اليوم الكئيب لن تمحوه الأيام أبداً...

قبل بيليه كان هناك جيجيا... وقبل البرازيل كانت هناك الأوروجواي... وقبل أن تفوز البرازيل بكأس العالم كان هناك ألم كبير لم يُنسَ حتى بعد فوز هذا المنتخب بكأس العالم خمس مرات، هذا الألم البرازيلي الكبير جاء في واحد من أشهر الكرنفالات الكروية في التاريخ... فكما تستطيع كرة القدم أن تلقي بأثر الفرح في نفوس الناس هي تمتلك القدرة كذلك على بسط مشاعر الحزن والأسى فيهم... قبل أن تحول هذا الألم إلى ألم يخلفه من الإنجازات والأفراح لم تشهد أي مباراة لكرة القدم حضور 200 ألف مشجع في ملعب واحد... لكن هذا ما حدث في نهائي كأس العالم عام 1950م في البرازيل وعلى ملعب الماراكانا الشهير في ريودي جانيرو عندما زحفت الجماهير البرازيلية وهي واثقة بقدرة منتخبها على الفوز بهذا اللقب لأول مرة...

التفاؤل كان يعم الجهاز الفني واللاعبين والمدرجات بأسرها... فالبرازيل كانت تحتاج للتعادل مع الأوروجواي لتحصد الذهب، وقد وصل هذا التفاؤل إلى أعلى درجاته بعدما سجل فرياشتا هدف التقدم لأصحاب الأرض في الدقيقة 47.. ثم سجلت الأوروجواي هدف التعادل في الدقيقة 66، لكن الأفراح استمرت في المدرجات أن تأتي الضربة التي حولت عرس البرازيليين إلى مأتم أسود... عندما سجل السيديسجيجيا هدف الفوز للأوروجواي قبل النهاية بـ 11 دقيقة... أصبح المنتخب البرازيلي أول من يخسر النهائي على أرضه وتحولت أهازيج الماراكاناإلى صمت تام.. وعن هذا الصمت يقول جيجيا: في التاريخ هناك ثلاثةأشخاص قامواإسكاتالماراكانا وهم البابا وفرانك سيناترا وأنا.. قبل يوم من النهائي كتبت إحدى الصحف البرازيلية على غلافها الرئيس (غداً سنرفع الكأس)... وفي اليوم الذي تلا النهائي كان العنوان (مونديال البرازيل 1950 قنبلة هيروشيما) وهذا وصف استخدمه كذلك الصحافي والروائي البرازيلي نيلسون رودريجيز عندما قال: "في كل مكان هناك مأساة وطنية مثل هيروشيما.. مأساتنا كانت الخسارة أمام الأوروجواي في 1950م".

بعد سنوات نفضت البرازيل غبار الماراكانا في 1958 وأمام أكثر من 50 ألف مشجع سويدي في مدينة سولنا السويدية حقق المنتخب البرازيلي أول ألقابه في كأس العالم

عندما فاز 5-2 في النهائي على أصحاب الأرض في مشهد يشبه إلى حد ما مشهد عام 1950م.

توالت السنوات وتوالت أمجاد البرازيليين،فقبل عودة كأس العالم إلى الماراكانا مرة أخرى في 2014م حصد هذا المنتخب خمسة ألقاب في النهائيات وأنجب أجيالاً من المتعة والإثارة والنجومية،

من آلام 1950م ولد الأمل... وأصبحت كرة القدم في شهيق وزفير كل برازيلي.

أحب كرة القدم أحب جماليتها والرياضة فيها... أحب تحركات اللاعبين وسلوكيات المدربين... أحب ديناميكية المشجعين وأحب عشقهم للشعار ولون فريقهم وبلدهم... أحب الضجيج والطنين والكهرباء في الملعب... أحب الأغاني في كرة القدم... أحب الطريقة التي تتحرك فيها الكرة وكيف ترتفع آمال فريق ما وتنخفض من خلال لعبة وخلال موسم واحد... أحب في كرة القدم أنها تجمع الناس معاً عبر الانقسامات الدينية والجغرافية والسياسية... أحب حقيقة أن في المستطيل الأخضر العشبي وعلى مدى 90 دقيقة يمكن للناس أن ينسواما يحدث في حياتهم والاحتفال... إنها أكبر ثقافة متنوعة يعرفها كل الناس.

آندي هاربر... لاعب أسترالي سابق

حينما تنتصر على الحرب

الحروب تأكل الناس والأشجار والحجارة.. هذا قانونها ودستورها ولعبتها وهوايتها وهويتها منذ الأزل... فحينما تحل الحرب لاتترك وراءها إلا الجروح والحسرات والأموات والأحزان... تخلف وراء ظهرها الدمار بكل أشكاله وألوانه وأصنافه... حينما تلتقي كرة القدم مع الحرب يدور بينها حوار من نوع خاص... فرغم فوارق وخلافات اللغة والمنطق والأصل والمنشأ إلا أن كرة القدم تسعى دائماً جاهدة لأن تتنحى تلك الحرب عن قناعاتها وترحل غير مأسوف عليها...

إن العلاقة القائمة بين الحرب من جهة وكرة القدم من جهة أخرى هي حرب ناعمة تنتصر فيها كرة القدم لأنها تمثل السلام والهدوء والأجواء الصافية المثالية وتتكلم بصوت خافت حتى تكسب القضية في كافة المحافل...

هنا وسط ملفات التاريخ حكايات طويلة ومفاوضات شاقة بين الكرة والحروب... حكايات تستحق أن تروى على مدرج كروي صغير ليس مسموحاً فيه حمل البنادق والقنابل والأسلحة الثقيلة...

بدأت الحرب الأهلية الأولى في ساحل العاج عام 1999م وخلفت على مدار السنوات التالية خسائر مادية وبشرية كثيرة حيث سقط أكثر من 1200 من المدنيين كضحايا لهذه الحرب التي اجتاحت البلاد من شمالها إلى جنوبها... فشلت كل محاولات رأب الصدع بين الحكومة والثوار حتى مع تدخل الجيش الفرنسي وقوى الأمن التابعة للأمم المتحدة، كما لم تنجح كل المفاوضات الدولية بإيقاف هذه الحرب الملتهبة إلى أن تدخلت كرة القدم لتضع حداً أمام الحرب الضروس التي تركت البلاد أمام مستقبل قاتم... ففي العام 2006م تأهل منتخب ساحل العاج إلى نهائيات كأس العالم للمرة الأولى في تاريخه...

وقد نجح هذا المنتخب بتوحيد الصفوف وتخفيف حدة التوتر بين قوات الحكومة التابعة للرئيس جباجبو وقوات الثوار... وأجبرت الرئيس على فتح محادثات السلام مجدداً... وانتشلت كرة القدم هذا البلد بأكمله من مستنقع الخراب، حيث وقف أبناء ساحل العاج أجمعين جنباً إلى جنب لدعم منتخبهم في نهائيات كأس العالم بالرغم من اختلاف انتماءاتهم السياسية...

وفي العام 2007م أي بعد عام واحد من نهاية المونديال... اجتمعت قوات الحكومة مجدداً مع عناصر قوات الثوار في ساحة حرب واحدة... لكن الصورة كانت مغايرة تماماً هذه المرة، فالمنافسة كانت كروية بحتة بعدما خاض الطرفان مباراة في كرة القدم في عاصمة الثوار بواكي...

هذا المشهد تكرر كثيراً في القارة الإفريقية التي تشهد نزاعات دموية في عدة من مناطقها للفقر ومعاناة عدة دول من مجاعات تقتل الأطفال يومياً... في ظل عدم قدرة بعض الشعوب في الحصول على وجبات يومية أو نظام تغذية أقل من عادي... النجم النيجيري السابق نوانكوكانو يرى أن كرة القدم هي التي تجمع شعب نيجيريا وترسم الفرحة على وجوههم والتفاؤل في نفوسهم فهو الذي قال يوماً:

" لا يمكننا الحصول دوماً على ثلاث وجبات طعام يومية، لكن كرة القدم هي تجمع البلد بأكمله أحياناً وتجلب السلام والوحدة لنيجيريا".

ولا يمكن عبور القارة الإفريقية دون الحديث عن الزعيم الراحل نيلسون مانديلا الذي كافح طوال حياته بغية نشر السلام والمساواة في المجتمعات حتى أصبح مثالاً أعلى لملايين الناس حول العالم... كرة القدم أنصفت مانديلا عبر استضافة جنوب إفريقيا لكأس العالم عام 2010م وعبر المشاهد المتشابهة في ملاعب العالم بعد أيام من رحيله عندما وقف اللاعبون والمشجعون دقيقة صمت تكريماً له في شتى الملاعب... كما أن مانديلا أنصف كرة القدم بدوره عندما اعتبرها نشاطاً ينشر الوحدة بين الشعوب وذلك عندما قال: "كرة القدم هي إحدى أكثر النشاطات التي تجمعنا وتوحدنا".

وفي إفريقيا أيضاً وقريباً من ضفاف المحيط الأطلسي وفي إحدى أكثر المناطق فقراً في ليبيريا أنجبت قبيلة الـ (كرو) جوهرة سمراء تخطت حدود ذاك البلد لتصل إبداعاتها إلى كل قارات العالم... هو النجم جورج وياه الذي قدم وجهاً مشرقاً للقارة السمراء على صعيد العالم عندما صال وجال في ملاعب أوروبا وحصد نجاحات بارزة على الصعيدين الفردي والجماعي...

وقد نجح بتكليل مسيرته اللامعة عبر الفوز بجائزة الكرة الذهبية عام 1996م وهو اللاعب الإفريقي الوحيد الذي رفع هذه الجائزة. وتنحدر أصول وياه من قبيلة تعيش في واحدة من أفقر المناطق في ليبيريا... وبعد تألقه في الملاعب حاول أن يساوي بين كرة القدم ومساعدة الأطفال الفقراء حيث استخدم نجاحه لجلب الفرحة على وجوه الأطفال وحثهم على الدراسة، كما أنه أسس فريق كرة قدم للأطفال وكان شرطه الوحيد لقبول اللاعبين هو جلبهم لمستندات تثبت تسجيلهم في مدرسة... وأكد وياه دور كرة القدم الفعال في الترفيه عن الفقراء وبسط الفرحة في نفوسهم عندما قال: "كرة القدم تمنح الناس الفقراء السعادة"...

وفي مكان آخر من العالم عاشت الدولة اللبنانية توتراً سياسياً ملتهباً منذ العام 2005م ما أدى إلى انقسام حاد في صفوف الشعب اللبناني... كان البلد بأسره على كف عفريت لظروف سياسية واقتصادية كثيرة، لكن مرة أخرى تدخلت كرة القدم لتؤمن مكان التقى فيه كل الأفرقاء تحت راية واحدة... ففي 15 نوفمبر من العام 2011م استضاف المنتخب

اللبناني منتخب كوريا الجنوبية الذي يعتبر أحد أقوى منتخبات القارة الآسيوية... والذي احتل المركز الرابع في كأس العالم عام 2002م. تناسى كل اللبنانيين همومهم واصطفافاتهم السياسية وتوجهوا يداً بيد إلى الملعب بعدما وضعوا ثقتهم بمنتخبهم الكروي الذي كان على مشارف التأهل إلى المرحلة النهائية من التصفيات المؤهلة إلى كأس العالم للمرة الأولى في تاريخه... توافد أكثر من 50 ألف مشجع لبناني إلى مدرجات ملعب المدينة الرياضية في بيروت تحت شعار كروي واحد: هيا يا منتخبنا. وبالفعل حقق هذا المنتخب إنجازاً تاريخياً وانتصر على العملاق الكوري وضمن تأهله إلى المرحلة النهائية... وقد ارتوت أرضية الملعب بدموع اللاعبين والمشجعين الذين اجتاحوا الملعب...

والذين لم يعيشوا خلال السنوات الماضية فرحة مثل الفرحة التي قدمتها لهم كرة القدم... ومع نهاية العام 2011م وصف موقع الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) هذه المباراة بإحدى أفضل مباريات العام 2011م نظراً للإنجاز التاريخي الذي حققه المنتخب اللبناني والأجواء الساحرة التي عمّت الملعب.

ولم ينعم العراق بالسلام منذ الحروب والنزاعات التي اجتاحت أرضه في العام 2003م لكن المنتخب العراقي كان المكان الأنسب لالتقاء العراقيين من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مع كل إنجاز كان هذا المنتخب يحققه أو بطولة يشارك فيها... ففي الوقت الذي كانت تتوحد فيه صفوف المنتخب العراقي سعياً وراء هدف كروي... كان ملايين المشجعين يجلسون أمام شاشات التلفزيون لمتابعة منتخبهم العراقي بـ 90 دقيقة من السلام في كل مرة يخوض فيها منتخبه الوطني إحدى مبارياته...

وبالرغم من الأجواء القاهرة التي يعيشها أبناء هذا الوطن... نجح منتخب كرة القدم برسم الفرحة على وجه كل عراقي عندما تغلب على جراحه ومعاناته وفاز بلقب كأس آسيا في العام 2007م،وقد أشاد حينها رئيس الاتحاد الدولي سيب بلاتر بهذا المنتخب معتبراً أن كرة القدم تمتلك القدرة على توحيد الناس في قلب رجل واحد وتعزيز المشاعر الوطنية لأناس عانوا أشد المعاناة خلال الأعوام التي سبقت هذا الإنجاز، ولم تقتصر إنجازات الكرة العراقية في هذه الفترة الصعبة على منتخبها الأول فحسب، ففي العام 2013مغصّتالشوارع العراقية بالآلاف بعدما نجح العراق في الوصول إلى نصف نهائي كأس العالم للشباب ليتم اختيار هذا الفريق كأفضل منتخب في آسيا لهذا العام من قبل الاتحاد الآسيوي لكرة القدم.

وفي الفلبين... جبرت كرة القدم بخواطر بلد خسر أكثر من 5 آلاف مواطن و20 ألف مصاب بعدما ضرب إعصار هايان أراضيها ورسمت فرحة على وجوه أناس خسروا منازلهم وأفراداً من أسرهم حيث لعبت هذه الرياضة دوراً هاماً في لمّ شمل أهل الفلبين ووضعتهم على طريق العودة إلى الحياة الطبيعية، وقد وصل المنتخب الفلبيني الأول إلى أفضل ترتيب في تاريخه وفقاً لما آل إليه التصنيف العالمي للاتحاد الدولي لكرة القدم في الأشهر

التي تلت الإعصار، حيث قدم هذا المنتخب أداء ترفع له القبعات في مناسبات متعددة كما أنه تأهل إلى الدور الثاني من تصفيات آسيا المؤهلة لكأس العالم لأول مرة في تاريخه... وهو إنجاز أفرح أبناء هذا البلد حتى ولو لم تدم رحلة النجاح طويلاً في هذه المنافسات... إنها كرة القدم... إنها المقاتل الناعم الذي وحده باستطاعته الانتصار على الحرب حتى وإن لم يكن طرفًا فيها...!!

كرة القدم هي لعبة الأحاسيس والذكاء.

جوزيه مورينيو... مدرب برتغالي

حسابات مالية مختلفة

أكثر ما يثار حول كرة القدم بين الناس خاصة في العشرين عاماً الماضية هو التوقف طويلاً عندما يصرف عليها من أموال... كثيرون يتحدثون عن العلاقة المالية بين اللعبة والصرف عليها وكأنهم يدفعون تلك الأرقام من حساباتهم الخاصة... ساحة واسعة يستغلها الرافضون لكرة القدم من أجل النيل منها حينما يؤكدون أن اللعبة تأخذ من الأموال ما لا يتناسب ويتوافق مع إنتاجها... إنهم يعتبرونها إدارة لإهدار الوقت والمال...

بالطبع ليس هناك أرقام واقعية أو دراسات بحثية وعلمية يمكنها قول الكلمة الفصل... لم يقل أحد أبداً أن اللعبة تشغل الفراغ الذي ربما يتسلل من خلالها أفكار مؤذية للصبية والصغار والمراهقين... لم يذكر أحد أن اللعب فيه جوانب حيوية وصحية تحارب بحركتها المستمرة أمراضاً ومشاكل كثيرة حتى قبل نشوئها مثل الضغط والسكر والسمنة...

قد يكون المقياس الأهم في مصاريف اللعبة هو ما تبذله الأسرة والفرد على لعبه وممارسته لكرة القدم سواء مع الأصدقاء داخل الأحياء أو حتى في الأندية المخصصة بملاعب مجهزة على أحدث المستويات... تدفع الأسر في كل مكان حول العالم الملايين في السياحة والفسحة والترويح عن النفس وكل ما تصرفه على كرة القدم لا يتوازى مع الكلام والحكايات الطويلة الناقدة والرافضة لأموال تذهب في مصلحة كرة القدم... تلك المبالغ الطائلة تدفعها الأندية والشركات التي ربما تستعيدها بطرق مختلفة وكثيرة...

أما ربط عملية صرف الأموال على اللعبة والضغط على أنها مجرد تجارة خاسرة وأنها عملية لا تخدم المجتمع فهي لا تتعدى كلام في الهواء من أجل خدمة الأهواء الكارهة لكرة القدم... إذا كان هناك مأخذ على المصروفات باتجاه اللعبة بشكل حقيقي فهو يتمثل فقط ربما بالحالة التثقيفية والتوعية للاعبين الذين يرتبطون بآلاف المعجبين والمشجعين... يفترض أن يكون لاعب كرة القدم أكثر وعياً وأكثر اطلاعاً وأكثر رؤية على دوره ومكانته في قلوب وأعين الناس والتي اكتسبها بالطبع من وراء كرة القدم...

إن انتشار كرة القدم يدل بطرق متباينة على الوضع الصحي... واعتدال مستوى عدم الانجراف في طرق يمكن القول إنها غير سوية وربما ترمي أصحابها في مهالك مميتة... وبالطبع هناك فوارق كبيرة بين ما تنتجه كرة القدم وبين ما يصرف على كرة القدم... إنها عملية حسابية معقدة وكبيرة وربما تكون أرقامها صادمة... لأنها ستكون قطعاً في مصلحة هذه اللعبة العجيبة.!

1. الغلاف
2. كرة القدم لغير الناطقين بها
3. الإهداء
4. مع صافرة البداية
5. العنوان.. هذا الصداع المزمن
6. هذا التاريخ لاتصدقوه
7. مؤسس مايكروسوفت بيل جيتس
8. لغير الناطقين بها
9. في الاتجاه الخطأ
10. لماذا يحبونها.. لماذا يكرهونها؟
11. 16 سبباً.. لماذا هي بالذات؟
12. العنصرية.. المحارب الكبير
13. السكان والمال والمكان
14. أمريكا وكرة القدم.. أيهما يكره الآخر؟
15. المتحدث الوحيد في العالم
16. ليست مهنة بل شغف
17. انفعل.. اغضب.. تناقض.. ولاتخجل
18. جلد منفوخ يهزم الأمم المتحدة
19. الاستغلال في الدوري.. السر في الكأس
20. مارادونا وميسي.. ليت الفروق واضحة
21. البرازيل والأرجنتين.. أين تقف أنت؟
22. عندما كنت صغيراً
23. التكنولوجيا.. الخوف القادم
24. المستقبل.. الغموض يفرض نفسه
25. في لعبة المال.. الانتشار ليس مهماً
26. مثل الحلوى والوجوه الجميلة
27. صورة خارج الإطار
28. وجه ضاحك وسط الظلام
29. مائة عام أخرى
30. البرازيل.. تلك الملكة الجريحة
31. تحليل.. يحتاج إلى تحليل!!
32. جنسية واحدة.. جذور مختلفة
33. لعبة الأرقام وعلم الفيزياء
34. إنها أغنية الفقراء.. إنها أنشودة الجميع
35. سلاح من كتف إلى كتف

36. ليست مجرد لعبة
37. عرس تحول إلى جنازة
38. حينما تنتصر على الحرب
39. حسابات مالية مختلفة